رُبّ همّةٍ أحيت أمّة

الرئيس عزت بيجوفيتش

الداعية مالكوم إكس

الدكتور مهاتير محمد

الدكتور ذاكر نايك

الدكتورة رسمية شمسو

دار العصماء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الدعوة إليه فرضاً على كل من استطاع إليها سبيلاً، وأوعد باللعنة من كتم العلم و اشترى به ثمناً قليلاً.

أشهد أنه الله الذي لا إله إلا هو و اتخذه وكيلاً، و أشهد أن محمداً عبده و رسوله الذي فضله على خلقه تفضيلاً.

اللهم صل وسلم عليه وعلى آله و أصحابه الذين كانوا يدعون إلى الله و يسبحونه بكرة وأصيلاً. أما بعد:

فقد أكرمني الله عز وجل وشرفني بتأليف كتاب عن السيرة الدعوية للدكتور عبد الرحمن السميط، وبعد النجاح الذي لاقاه. والاهتمام الذي حظي به، أدركت كم هي حاجة الأمة لهذه النماذج المشرقة في حياتها المعاصرة.

كم هي حاجة الأمة إلى تلك القدوة المشرقة في هذا العصر، بعد ذلك الركام من الفشل واليأس والإحباط.

إن العقول ممتلئة بالعلوم والحقائق، ولكن هذه النفوس بحاجة ــ بل وعطشى ــ إلى القدوة والمثال التطبيقي في العمل والتضحية و اتباع المنهج الرباني.

وهنا شرح الله عز وجل صدري للبحث عن هذه النماذج المشرقة في أمتنا والتي يجهلها المسلمون، تلك النماذج التي تبث الأمل وتحيي الهمم.

وتفاجأت عندما وجدت نماذج مشرقة ومشرّفة كثيرة في تاريخنا، ولاسيما في تاريخنا المعاصر، وأغلب الناس يجهلها، وربما يعلم عن الفنانين والمطربين ولاعبي الرياضة أكثر مما يعرف عنهم، هذا بالإضافة إلى من لا يعرف حتى أسماءهم.

نعم، هؤلاء القمم لهم حق علينا أن نذكرهم ونتعرف عليهم، بل ونفتخر بهم، لكن بقدر حقهم علينا بقدر حاجتنا إلى أمثالهم لنحيي فينا ما مات من الهمة والمحبة لهذا الدين الذي شرفت الدنيا به.

هذه القمم ـ وبحمد الله ـ كثيرة، ولكن اخترت منها أربع شخصيات، تميزت كل شخصية بناحية من نواحي التميز في العطاء والتضحية، وتميزت بالمكان الذي عاشت فيه، وبالمجال الذي أبدعت وضحّت من خلاله.

بدأت بالرئيس **علي عزت بيجوفيتش** –رحمه الله وأسكنه فسيح جناته– الذي يعتبر أول رئيس مسلم لأول دولة مسلمة في أوربا في العصر الحديث.

ذلك البطل جاهد وفاوض وصبر حتى انتزع استقلال البوسنة والهرسك من براثن العدو المتآمر على شعب البوسنة المسلم.

سيسجل التاريخ لهذا البطل المسلم تضحياته في سبيل دينه ونصرة شعبه المظلوم، وستذكره الأجيال القادمة بأنه القائد الذي دخل المجد من جميع أبوابه وبامتياز.

ولقد اخترت الداعية **مالكوم إكس** ليكون الشخصية الإسلامية الثانية، إنه رجل زنجي أمريكي مسلم من القرن الماضي، لم يعش زمناً طويلاً، كان لصاً ثم سجيناً ثم داعية ثم شهيداً.

عندما عرف الإسلام ودخل نوره إلى قلبه، قام داعياً إليه، لقد قام و لم يعرف بعدها قعوداً أو نوماً، لقد أسلمت أمم كثيرة على يديه بفضل الله ومنته.

كانت محنته كبيرة في حياته، فالشيخ الذي أسلم بسببه وأعطاه الولاء والمحبة، كان شيخاً منحرفاً، وصورة مشوهة لرجل الدين.

عرف ذلك وانفصل عنه وأسس دعوة إسلامية صحيحة العقيدة، ودفع الثمن غالياً!

لقد اغتالته يد الحقد والغيرة والانحراف، و لم يكن يتجاوز الأربعين من عمره.

أما الشخصية الثالثة: فكانت لرئيس وزراء ماليزيا السابق: **مهاتير محمد**.

إنه رجل عجزت الأمهات أن تنجب مثله: لقد عمل ليل نهار ليخرج ماليزيا من مستنقع الفقر والتخلف لتصبح من بين أكبر عشرين دولة صناعية في العالم، ضمن أسس نظام اقتصاد إسلامي تصاغرت كل اقتصاديات العالم أمامه، وأصبحت ماليزيا مقصداً لكل من أراد الدين والدنيا معاً، لقد بنى أكبر جامعة إسلامية على وجه الأرض.

لم يدخر جهداً من أجل النهوض بماليزيا المسلمة وشعبها الغالي، فنجح في بنائها لتصبح ماليزيا جنة الدنيا، فهي للسياحة وللعلم وللمال.

أما الشخصية الأخيرة فكانت للدكتور **ذاكر نايك**، ذاك الطبيب الشاب، الذي أكرمه الله عز و جل بلقاء فارس المناظرة في الغرب الداعية أحمد ديدات ـرحمه اللهـ ونصحه ديدات بالتوجه إلى الدعوة إلى الله تعالى، لقد استشف أحمد ديدات فيه الداعي الفذ لخدمة هذا الدين، وعمل الدكتور ذاكر بنصيحة أستاذه، وبعد عدة سنوات التقى د. ذاكر بالداعية ديدات، فتشرف بأعظم لقب يفتخر به، عندما لقبه أحمد ديدات بـ: ديدات بلس ـ ديدات وزيادةـ.

هذا أملنا بأن يصبح الهدف لكل داعي من الناس: هدايتهم بإذن الله تعالى، ثم تهيئتهم لا ليكونوا مثله ونسخة عنه، ولا ليكونوا ظلاً له، بل ليكونوا قادة دعاة يتجاوزونه بأدب ومحبة، وليسير مركب الدعوة إلى الأمام، إلى التفوق مع المعاصرة والتجديد.

وبعد العيش أياماً طويلة مع هؤلاء الأبرار، مع سيرتهم الدعوية، مع عطاءاتهم وتضحياتهم وصبرهم ومصابرتهم، وجدت نفسي بعد ذلك كله على يقين بنصر الله تعالى للمسلمين.

فيا من تبحثون عن القدوة بين المسلمين!

إن أمتنا عامرة بالأفذاذ المخلصين لله في كل زمان ومكان.

فيا أيها الدعاة المسلمون المخلصون ألا فاستبشروا واعلموا:

أنتم الأعلون لأنكم أتباع النبي الخاتم محمد ﷺ، خير الخلق، وسيد الرسل..

أنتم الأعلون لأن كتابكم القرآن فيه نبأ من قبلكم، ونبأ ما يأتي بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو حبل الله المتين، ونوره المبين، وشفاؤه النافع عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه..

أنتم الأعلون لأن شريعتكم الإسلام، دين ودنيا، جسد وروح، عقل وقلب، ما ترك الله عزوجل في شريعته من شيء إلا وضحه وبينه:

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[1]

أنتم أيها المؤمنون الصابرون - إن شاء الله - الفائزون..

وها أنا أقدم لكم الدليل، أقدم لكم نماذج من دعاة هذه الأمة، ما جمعني بهم إلا الإسلام، وما شرفني أن أكتب عنهم إلا لأنهم خدموا الإسلام، ودعوا إلى دين الله.

فيا أخي المسلم:

يا حلم الغد

يا ابن الحاضر

و حفيـــــــد الأمـــــس

المسجـــــى فوق ركام اليـــــأس

اِنفض عنك أزلام المـــــوت

وانفخ فينا روح الإنســـــان

وارفع رأسك عالياً ...فأنت قائد هذا الزمان.

د. رسمية شمسو

---

(١) المائدة: ٣.

الرئيس: علي عزت بيجوفيتش

رجل لن ينساه التاريخ...

أول رئيس مسلم لدولة أوربية (البوسنة)

في العصر الحديث

- من يعيش للقضايا الكبرى يعيش كبيراً ويموت كبيراً، ومن يعيش لنفسه يعيش صغيراً ويموت صغيراً . .
- عزت بيجوفيتش: إنه حسنة الأيام و أويس هذا الزمان وشامة الإسلام . .
- الرجل الشامخ المتواضع . .
- رجل دخل التاريخ من أبوابه الواسعة، وتربع على عرش القلوب بين الشرق والغرب . .

هو اسم لن تنساه أوروبا بسهولة. فرئيس البوسنة خلال حقبة التسعينيات من القرن الماضي يعد واحداً من أعظم مائة سياسي جاؤوا إلى العالم خلال القرن العشرين

الرئيس: علي عزت بيجوفيتش

نصير الإسلام في البوسنة

هو المفكر الإسلامي الكبير علي عزت بيجوفيتش.

أول رئيس لجمهورية البوسنة والهرسك.

قائد القوات البوسنية وقت حرب الإبادة العرقية التي شنها الصرب والكروات ضد المسلمين البوسنيين.

حمل راية الدعوة الإسلامية والدفاع عن مفاهيم الإسلام.

تعرض للسجن والاعتقال، وتعرض للهجوم عليه وتشويه شخصيته وأفكاره حتى بعد مماته.

في زمن كان المسلمون في أوروبا يُنظر إليهم بنظرة اتهام وازدراء.

في زمن صعود النازية والشيوعية، ثم انتهت النازية وانهارت الشيوعية وبقي بيجوفيتش صامداً بدعوته.

قاد القوات البوسنية وحقق بهم انتصارات عظيمة في وقت تخاذلت فيه الأمة عن نصرة إخواننا في البوسنة، وفي وقت صمتت أوروبا عن المذابح التي ارتكبت في حق المسلمين هناك واستشهاد ما يقرب من ٣٥٠ ألف مسلم بوسني، ولم تتدخل إلا عندما تحول سير المعارك في صالح القوات البوسنية الباسلة، في كل هذه الأجواء كان علي عزت بيجوفيتش قامة شامخة وشخصية عظيمة من الشخصيات الإسلامية في العصر الحديث.

الولادة والنشأة:

ولد بيجوفيتش في عام ١٣٤٤هـ، الثامن من آب عام ١٩٢٥م، في مدينة بوسانا كروبا شمال غربي البوسنة، **والتي كانت حينها مملكة الصرب والكروات والسلوفينيين تحت حكم العائلة المالكة الصربية.**

نشأ في عائلة عريقة في إسلامها[1]. اسم عائلته يمتد إلى أيام الوجود التركي في البوسنة، فالمقطع (بيج) في اسم عائلته هو النطق المحلي للقب (بك) العثماني، ولقبه (عزت بيجوفيتش) يعني ابن عزت بك.

وكانت أمه على قدر من الورع والتقوى، فغرست في قلبه حب الإسلام، فعشق القرآن، وخصوصاً سورة الرحمن، وهو صبي يافع.

أقام علي بيجوفيتش وعائلته فى مدينة شمتاس فى البوسنة التي استوطن فيها المسلمون بشكل كبير وهناك مناطق مجاورة لمنطقة تسمى أوش خصصها السلطان عبد العزيز للمسلمين أصبحت فيما بعد منطقة مفتوحة للاستيطان..فحتى عام ١٩٢٧م أقام علي بيجوفيتش وعائلته هناك وكانوا خمس إخوة: ثلاث بنات وولدان هو أوسطهم.

نشأ في مناخ معادي للمسلمين، ويُنظر إليهم كدخلاء على أوربا في منتصف القرن التاسع عشر. منع أسلافه من مدينة بلغراد ذات الأغلبية الصربية بعد تشريع دستوري يقضي بحظر معيشة المسلمين، واليهود، والغجر فيها، فانتقل مع أسرته إلى سراييفو **ولم يكن على وقتها قد تجاوز العامين من عمره.**

---

(١) **تاريخ دخول الإسلام إلى البوسنة:** المعروف أن الإسلام دخل إلى منطقة البلقان على يد العثمانيين بعد معركة "كوسوفا" الشهيرة سنة ٧٩٢هـ = ١٣٨٩م بعدما انتصروا على الصرب. ثم دخل الإسلام البوسنة سنة ٨٦٨هـ = ١٤٦٣م، واعتنق البوسنويون الإسلام، وعُرف مسلموها بالبوشناق، وظلوا خاضعين للدولة العثمانية حوالي ٤١٥ عاماً، وبعد زوال الحكم العثماني تعرض المسلمون فيها لاضطهاد ديني وعرقي متكرر؛ أدى إلى نزوح عدد كبير من السكان إلى تركيا، ولم يُسمح للمسلمين لعقود طويلة بممارسة حقهم في إدارة شؤونهم، فضلاً عن المذابح والانتهاكات الرهيبة التي تعرضوا لها في فترات متعاقبة لمحو إسلامهم وهويتهم.

التعليم والدراسة:

تعلم بيجوفيتش في المدرسة المتوسطة في ظل معلمين كانوا من الصرب..وثانوية ألمانية، تخرج في المدرسة الثانوية عام ١٩٤٣م، ثم تابع مشواره الدراسي في كلية الحقوق بجامعة سراييفو وحصل على شهادة التأهيل في القانون عام ١٩٦٢م. وعلى شهادة عليا في الاقتصاد عام ١٩٦٤م.

عزت بيجوفيتش **يتقن عدة لغات أجنبية:** الألمانية، والفرنسية، والإنكليزية، مع إلمام جيد بالعربية.

النشاطات في بداية مرحلة الشباب:

تعلم في سراييفو في مدرسة ثانوية ألمانية عُرفت بمنهجها الأكاديمي الصارم. وتفتحت في تلك الفترة الباكرة مواهبه وتعطشه للإسلام، فأسس مع بعض زملائه نادياً مدرسياً للمناقشات الدينية أطلقوا عليه **"ملادي مسلماني"** أي **"جمعية الشبان المسلمين"**، وكان عمره في تلك الفترة ١٦عاماً، ولكنه كان يمتلك طاقة فكرية كبيرة اقترنت بحيوية الشباب، لذلك تطورت الجمعية من النقاش إلى العمل، فقامت بأعمال تعليمية وخيرية، وأنشأت قسماً للفتيات المسلمات، وقدمت خدمات ومساعدات أثناء الحرب العالمية الثانية للمحتاجين.

رغم حداثة جمعية الشبان المسلمين التي ساهم بيجوفيتش في تكوينها، فإنها كانت متفتحة على العصر وعلى دينها؛ فقد سعت إلى بناء شخصية مسلمة تستطيع أن تتعايش مع الواقع الأوربي. وتأثرت الجمعية بأفكار الطلاب البوسنويين الذين درسوا في الأزهر الشريف. فقد عرفوا منهم أن الإسلام ليس هذه العبادات التي يؤديها المسلمون وحسب بل هو دين، دولة، عقيدة، شريعة، مصحف وسيف.

وخرجت الجمعية برؤية مفادها أن الإسلام أيدلوجية يجب أن تكون واقعاً في الحياة، وليس ديناً ينحصر في حدود الفرد **وعلاقته بربه من خلال العبادات كما يفهم**

المسيحيون الأوربيون دينهم ويريدون تعميم فهمهم هذا على سائر الأديان. بل هو دين يشمل سائر المجالات الحياتية...

فكانوا مؤمنين بأن العالم الإسلامي يجب أن يكون بأوضاع أفضل مما هو عليه الآن ...وكانت أذهانهم الشابة تبحث عن طريق للخروج من هذه الأوضاع لذلك تطورت الجمعية من النقاش إلى العمل.

وقد سعت الجمعية إلى الانفتاح المتوازن على الإسلام وحركاته التي ظهرت في تلك الفترة في العالم الإسلامي، وتأثرت بتجربة أندونيسيا وباكستان.

كما كان هناك انفتاح على الثقافة الغربية في منابعها الأصلية؛ حيث خططت الجمعية لتعليم اللغات الأوربية ليتسنى لها قراءة الأفكار بلغتها.

الحياة العائلية:

تزوج من السيدة **خالدة بيجوفيتش** وأنجبت له ثلاثة أبناء: سابينا، بكر، وليلى.

لم تكن حياة عزت بيجوفيتش هانئة ولا سهلة، رغم أنه ينتمي إلى أسرة عريقة كانت تتمتع بالغنى والوفرة في عهد يوغسلافيا الملكية .. وكانت تتمتع بالكفاية والستر في عهد يوغسلافيا الشيوعية .. كانت حياته مليئة بالأشواك، حافلة بآلام تكاد تكون متصلة الحلقات، فيما عدا فترات وجيزة من طفولته تنسّم فيها نسمات من السعادة والرضا.

الحياة النضالية والسياسية

من وسط الظلام خرج لنا رجل..رجل صنعته المحنة والشدة..لاح له ضوء في الأفق فتأمله وصاغ منه حلماً ثم هماً وقضية فصار ضوءاً شديداً يصرخ في ظلمة سماء العالم قائلاً:
أيها العالم ها نحن المسلمون

شهد علي عزت خلال الحرب العالمية الثانية مذابح الصرب ضد المسلمين والتي قارنها بعد ذلك بتعامل الألمان الذين رغم احتلالهم للمدينة ومراكزها المهمة فإنهم تركوا المدنيين لحالهم.

ـ في عام ١٩٤٠م عندما كان في السادسة عشرة، شارك في تأسيس "**الشباب المسلمون**"، وهي جمعية دينية اجتماعية سياسية.

ـ وفي عام ١٩٤٦م، عندما كان في الحادية والعشرين من عمره، بدأ بيجوفيتش بتأليف كتاب أسماه " **الإعلان الإسلامي** " لكنه قبل أن يتمكن من طباعة كتابه، قامت الحكومة الشيوعية التي يقودها **جوزيف تيتو** باعتقاله مع صديق مقرب له والحكم عليه بالسجن لثلاث سنين، بسبب نشاطاته مع جمعية الشباب المسلمين التي تعتبر الحكومة أعضاءها بأنهم منشقون، ويدعون للإسلام المحظور.

لكن أخيراً، تمت طباعة كتابه "الإعلان الإسلامي" في عام ١٩٧٤م في بلغراد، وطبع ثانية في سراييفو عام ١٩٩٠م.. تم استخدام هذا الكتاب لاحقاً من قبل أعدائه لاتهامه بتوجهاته الإسلامية الأصولية.

لكن المتعاطفين مع عزت أشاروا بأن الكتاب لا يشير إلى البوسنة تحديداً، بل كان أكثر اهتماماً بوضع الإسلام عموماً في عالمنا المعاصر، ويعكس الأزمة التي يمر بها مفكر إسلامي يعيش في ظل حكومة نظام شيوعي.

بعد إطلاق سراحه، قام بيجوفيتش بالتعويض عن وقته في السجن بالحصول على شهادة القانون، كما أنه بدأ حياته المهنية بالعمل كمستشار قانوني لعدد من الشركات في سراييفو.

لكنه لم يتوقف أبداً عن الكتابة عن الإسلام، وعن وضع البوسنة في يوغسلافيا، حيث كتب لبعض المجلات في يوغسلافيا وبعض الدول العربية، وكان يذيل كتاباته بتوقيع "س.ب.ل"، الحروف الأولى لأسماء أبنائه: سابينا، بكر، وليلى.

كتاب بيجوفيتش "**الإسلام بين الشرق والغرب**" الذي نشره عام ١٩٨٠م كان عملاً أصيلاً حاول فيه أن يعرّف وضع وحالة المسلمين البوسنيين، وأن يبحث عن نقاط التقاء بين الديمقراطية الأوربية والتعاليم الإسلامية، لكنه احتوى على ما كان كفيلاً بأن يثير غضب الحكومة الشيوعية عليه مرة أخرى.

أحس **تيتو** بأن بيجوفيتش يثير المشاعر الوطنية، لذلك اعتقله وتم الحكم على بيجوفيتش و ١٢ من رفقائه في جمعية الشباب الإسلامي بالسجن. وباعتباره القائد الروحي للجماعة، فقد لقي النصيب الأكبر من العقوبة بالسجن.

عندما أُحتلت يوغسلافيا من قبل القوات الألمانية النازية الغازية سنة ١٩٤١ م، ووقعت تحت حكم الاحتلال، حيث تمت الإطاحة بالحكم الملكي، وقفت جمعية الشبان المسلمين بقيادة الشاب بيجوفيتش ضد الأفكار النازية، ونتيجة لذلك رفض ترخيص الجمعية التي كان يقودها.

مع انتهاء الحرب العالمية وتحرير أوروبا من الاحتلال الألماني نشأ الاتحاد اليوغسلافي في تشرين الثاني ١٩٤٥م من ٦ جمهوريات مستقلة ،كانت البوسنة واحدة منها، في تلك الفترة كان الزعيم الشاب بدأ دراسة المحاماة بكلية القانون في جامعة سراييفو وكان

معارضاً للشيوعية بسبب خلفتيه الدينية الإسلامية التي ترفض الإلحاد، وقد تعرض بسبب تلك الأفكار أثناء دراسته للسجن والاعتقال.

لقد كان لعلي عزت بيجوفيتش تأثيره على المسلمين من خلال المقالات التي كان يكتبها وينشرها باسم مستعار في مجلة " تاكفين " حيث كان يقرؤها آلاف المسلمين.

وفي أعقاب رحيل الزعيم اليوغسلافي الشهير جوزيف تيتو صاحب القبضة الحديدية، تراجعت حدة القوة الشيوعية، وبدأت تظهر على السطح في يوغوسلافيا بوادر انشقاقات وانقسامات، لكنها ظلت كالجمر تحت الرماد حتى انهيار الاتحاد السوفياتي والمعسكر الاشتراكي وبزوغ فجر التغيير في أوروبا الشرقية.

قبل سقوط المعسكر الاشتراكي وبعيد وفاة تيتو ظهر كتاب "البيان الإسلامي" لبيجوفيتش مما عرضّه للمحاكمة والسجن سنة ١٩٨٣م بتهمة السعي لإقامة جمهورية أصولية إسلامية في أوروبا، وحكم عليه في محكمة صورية بالسجن ١٤ عاماً، ثم أطلق سراحه سنة ١٩٨٨م.

وفي فترة سجنه ظهر كتابه الشهير " **الإسلام بين الشرق والغرب** " وتمت طباعته خارج يوغسلافيا سنة ١٩٨٤م، ويعتبر هذا الكتاب مرجعاً علمياً يستطيع القارئ عبره فهم الموقع الذي شغله ويشغله الإسلام بين الشرق والغرب، وقد أظهر المؤلف مدى اعتداله ورجاحة عقله وسلاسة أسلوبه الذي يقوم عبره بطرح الأمور والمواضيع.

عندما خرج الزعيم بيجوفيتش من السجن كانت يوغسلافيا قد بدأت تتفسخ كما حال كافة دول المنظومة الاشتراكية، وقد وافقت حينها يوغسلافيا على قرار نظام تعدد الأحزاب، فقام بيجوفيتش بتأسيس **حزب العمل الديمقراطي**، والذي فاز بأغلبية المقاعد في أول انتخابات برلمانية حرة في الجمهورية في تشرين الثاني من عام١٩٩٠م، وبعدها بأشهر قليلة أصبح رئيساً.

خلال بضعة أسابيع من استلامه الرئاسة، كانت يوغسلافيا تتفكك ونذائر الحرب بدأت تلوح في كرواتيا، تم ثني بيجوفيتش من اللجوء لأي جانب رغبة في الحفاظ على تقاليد التعايش المشترك للبوسنة والهرسك.

ـ صوّر عزت بيجوفيتش فكرة الاختيار بين الساسة العدائيين في زغرب وبلغراد كالاختيار بين اللوكيميا أو ورم الدماغ!

لكن تفكك يوغسلافيا أقنعه بأن قدر البوسنة بأن تكون دولة ديمقراطية مستقلة، حيث يقول: **"بيتنا موجود في أوروبا وليس في دولة أصولية، هدفي هو الحصول على دولة ديمقراطية مستقلة تخضع للمعايير الأوربية ".**

لكن في بدايات العام ١٩٩١م، حذّر صرب البوسنة بيجوفيتش من أنهم سيرفضون القبول بدولة بوسنية مستقلة ذات غالبية مسلمة.

ـ وفي شباط ١٩٩٢م قاطع الصرب استفتاء عام للاستقلال.

ـ وفي آذار ١٩٩٢م بدأ الاستفتاء على استقلال البوسنة، ونزل الزعيم بنفسه للإدلاء بصوته كاسراً حاجز الخوف عند المسلمين، مما جعلهم يتدفقون على صناديق الاقتراع ليصوتوا بنعم للاستقلال بنسبة ٦٣,٤٪ .

ـكانت نتيجة الاستفتاء تعني للبوسنيين الاستقلال ولكنها بنفس الوقت جلبت لهم الحرب والدمار وأظهرت الوحشية الصربية والعقلية الإجرامية، والعنصرية الطائفية التي كانت تملأ قلوب الصرب والكروات، وقد صممت الدول الأوروبية على حرب الإبادة التي تعرض لها الشعب البوسني.

ـالحرب الأهلية اندلعت في شهر نيسان من عام ١٩٩٢م في مواجهات بين ثلاث جماعات عرقية الرئيسية[١].

---

(١)الحرب في يوغسلافيا السابقة:

يوغسلافيا السابقة تتكون من ست جمهوريات، صربيا وهي أكبر الجمهوريات وعاصمتها بلغراد، وكرواتيا وعاصمتها زغرب، وسلوفانيا وعاصمتها ليوبيانة، والبوسنة والهرسك وعاصمتها سراييفو، وجمهورية مقدونيا(مكدونية) وعاصمتها

تيوجراد، وإقليمان هما فوديفونيا وكسوفا. وفي داخل كل جمهورية توجد طوائف ذات ثقافات مختلفة، وقوميات متباينة وعرقيات بينهما ثارات قديمة، تصل في بعض الجمهوريات إلى عشرين جماعة عرقية وإلى أربعة عشر لغة ولهجة كما يوجد تفاوتاً في التاريخ والدين وحتى الطباع البشرية ذاتها.

إن التصدع الأول في الدولة اليوغسلافية ظهر بوضوح سنة ١٩٨٩ م في ذكرى مرور ٦٠٠ عام على انكسار الصرب أمام العثمانيين في كوسوفا، عندما تحدث ميلوسيفيتش بلغة شيفونية ضد الألبان في كوسوفا، وألغى الحكم الذاتي الذي كان يتمتع به الإقليم، فخشيت بقية الجمهوريات من مصادرة حكمها الذاتي وأعلنت التمرد بعد ذلك.

كما كان لظهور رؤساء جمهوريات مثل **سلوبودان ميلوسوفيتش** في صربيا، **وفرانيو تودجمان** في كرواتيا وهما من أصحاب النزعات الفاشية العرقية من الأسباب الأساسية التي أدت إلى الانهيار السريع في يوغسلافيا، فانشقت سلوفينيا ثم كرواتيا وأعلنا استقلالهما معاً في يوم ٢٥ حزيران سنة ١٩٩١م.

وفي صباح ٢٦ حزيران هاجمت القوات الصربية كرواتيا، وكان بإمكانها سحق كرواتيا بآلتها العسكرية الرهيبة التي انفردت بها ميراثاً من الدولة اليوغسلافية السابقة، ولكنها اضطرت لإيقاف العمليات العسكرية عندما أدركت وتأكدت أن الدول الأوربية وبالأخص ألمانيا سوف تتدخل بالقوة العسكرية للدفاع عن كرواتيا.

كانت القيادة البوسنية تشعر بالقلق إزاء الصراع الذي اندلع بين صربيا وكرواتيا أن يؤثر على التركيبة العرقية المتداخلة من المسلمين والصرب والكروات في أنحاء البوسنة والهرسك، ومن ثم تنجرف إلى حرب أهلية كتلك الحروب السابقة التي خرج منها المسلمون بأكبر نصيب من الويلات والمآسي. ولذلك كان على القيادة البوسنية أن تحدد موقفها بعد انفصال سلوفينيا وكرواتيا وتفجر الصراع العسكري في المنطقة.

كان رأي القيادة البوسنية المنتخبة أن البوسنة لا يمكنها البقاء في الاتحاد اليوغسلافي بدون بقاء بقية الجمهوريات سواء ضمن اتحاد فيدرالي أو اتحاد دول مستقلة، أما إذا استقلت كرواتيا وسلوفينيا ومقدونيا فإنها ستعلن بدورها الاستقلال.

لكن الدول الأوروبية ولا سيما فرنسا اشترطت تنظيم استفتاء شعبي على الاستقلال وهو ما جرى في ٢٩ تشرين الثاني وحتى ١ آذار١٩٩٢ م، وصوّت الشعب البوسني على الاستقلال بأكثرية ٦٣،٤ في المائة. وكانت صيغة الاستفتاء: "هل تؤيد قيام دولة مستقلة وذات سيادة في البوسنة، يتمتع فيها بالمساواة كافة مواطني وطوائف البوسنة والهرسك، المسلمين والصرب والكروات، وكل من يعيش فيها".

وفي عقب ذلك النجاح أعلن الرئيس علي عزت بيجوفيتش رحمه الله استقلال البوسنة في ٤ آذار١٩٩٢ م .

لكن الاتحاد الأوروبي لم يعترف باستقلال البوسنة مباشرة وماطل في ذلك وأعلن تأجيل الاعتراف، مما شجع الصرب على اعتماد خيار القوة لثني الأغلبية عن قرارها، وفي ٦ نيسان ١٩٩٢ م بدأ العدوان الصربي، مخلفاً وراءه آلاف القتلى والجرحى وآلاف المباني المهدمة والجسور المحطمة وطال ذلك في المقام الأول المساجد.

وخلال ٤ سنوات لم يعمل الغرب على وقف العدوان كشرط للمفاوضات بل كانت المفاوضات التي كان يرعاها تجري بشكل متوازي مع حرب الإبادة لدفع المسلمين للاستسلام والقبول بالأمر الواقع، وهنا تجسدت عبقرية علي عزت بيجوفيتش، إذ أن الموت الشريف، أفضل من حياة الخزي والعار. قالها مدوية بعد أن رفض الغرب السماح للمسلمين بشراء الأسلحة وفرض حظراً ظالماً على الطرفين، بيد أن الصرب لديهم ما يكفي من الأسلحة وزيادة

ـ سارع بيجوفيتش بطلب مساعدة الأمم المتحدة وأمر بالتعبئة الكاملة لاحتياطي الشرطة والمقاطعات.

ـ في الشهر الأول للحرب، سقط مئات القتلى وفقد قرابة النصف مليون منازلهم، حيث أن قوات الصرب، مدعومة من صربيا ومسلحة من الجيش الفدرالي، شنت هجماتها لإقامة دولة صربية في البوسنة.

بينما ردت جماعات مسلحة كرواتية بمحاولة تأمين المناطق ذات الأغلبية الكرواتية في غرب البلاد. وخلال الخريف، توترت العلاقات بين المسلمين وزغرب، الحلفاء اسمياً. ثم أعلن القائد الكرواتي المختار من قبل رئيس كرواتيا الاستقلال الذاتي لمناطق الكروات.

فمصانع الأسلحة في بنيالوكا وبلغراد تمدهم بما يحتاجونه، بينما لم يتسن للمسلمين سوى صناعة بعض القذائف بما لدى بعضهم من خبرة تقنية كانت تحتاج للمواد الأولية وبعض الآلات في وقت منعت فيه الأمم المتحدة الورق عن البوسنة! كان علي عزت يردد على الغرب حقيقة: **ليس لدينا القوة الكافية على المعتدين، وكما أن أعداءنا ليس لهم القوة الكافية لإبادتنا عن بكرة أبينا.** وفي نهاية ١٩٩٥ م وبعد نكبة **سريبرينتسا** مباشرة والتي أبيد فيه أكثر من ١٠ آلاف مسلم، بدأ المسلمون يستعيدون زمام المبادرة ويحررون مساحات شاسعة في وسط وشمال غرب البوسنة حتى وصلوا إلى مشارف بنيالوكا، وعندها فقط تدخل الغرب لوقف الحرب، وألزم المسلمين بوقف زحفهم تجاه بنيالوكا واعترف السفير الأميركي في سراييفو مؤخراً بذلك في معرض منّه على الصرب:"نحن الذين أوقفنا المسلمين عن تحرير بنيالوكا ". وكان حلف شمال الأطلسي و واشنطن قد هددت الجيش البوسني بالقصف إن لم يوقف زحفه، ولم يكن علي عزت وهو في دايتون ليعلم بتطورات الموقف العسكري فوقع الاتفاقية في ٢١ تشرين الثاني ١٩٩٥ م، فقد حال الأمريكان بينه وبين الاستماع للأخبار أو الاتصال بقادة جيشه الذين كانوا ينتظرون تأخير التوقيع ليومين فقط، تكون فيها بنيالوكا محررة وعندها تتغير المواقف وشكل اتفاقية السلام.

ففرية أن الغرب أوقف مذابح المسلمين في البوسنة لا أساس لها من الصحة، بل إن الغرب تدخل في الوقت المناسب لإنقاذ الصرب من هزيمة محققة لو استمرت الحرب بضعة أيام أخرى، كما اعترف السفير الأميركي.

فأين كان الغرب في سريبرينتسا وسراييفو و بريدور وفيشي غرد و بيهتش وموستار على مدة ٤ سنوات؟!

وفي طليعة عام ١٩٩٣م، حاول الكروات الاستيلاء على جيب موستار المسلم، وقتل آلاف المدنيين المسلمين.

ـ في فيينا، طالب بيجوفيتش بتخفيف الحصار العسكري للسماح للبوسنيين بمواجهة خصومهم بنوع من التكافؤ، لكن على النقيض قام وزراء خارجية الاتحاد الأوربي بالضغط عليه للرضا بصفقة تقوم على القبول بالأمر الواقع واعتماد التقسيم الحالي للدولة.

ـ في شباط ١٩٩٣م، تحدث بيجوفيتش لجمع غاضب من مدينة زيبا المحاصرة والمنهكة شرق البوسنة قائلاً:

" لا أستطيع مساعدتكم، لا أملك الوسيلة لمساعدتكم. لقد وجدنا نحن البوسنيون أنفسنا بين عدو متوحش وصديق منافق".

حتى حلفاء بيجوفيتش نصحوه بأن يصنع سلاماً من الأرض المقطوعة. قالوا له:

"خذ قطعة الأرض تلك وأعيد شعبك إلى أرض الدولة، وإلا سينتهي الحال بهم إلى الذوبان كما يذوب الثلج في الربيع".

وفي تموز ١٩٩٣م وتحت ضغط عناصر متمردة في الرئاسة الاتحادية البوسنية، قبل بيجوفيتش لأول مرة بإمكانية إقامة دولة فدرالية عرقية إذا أصر الكروات والصرب. لكن التقدم نحو اتفاق واصل تعثره باختلافات حول الخريطة.

ووجد بيجوفيتش نفسه تحت ضغوط متزايدة شديدة خصوصاً من الاتحاد الأوربي الذي ألقى باللوم عليه بسبب ما وصفوه "بالمطالب الغير منطقية ".

ـ بدأت الأمور بالتحسن في آذار ١٩٩٤م، عندما قام رئيس كرواتيا بضغط أمريكي بالتعهد بالالتزام بفدرالية مسلمة ـ كرواتية.

السلام مع الكروات أتاح الفرصة للقوات المسلمة بالمزيد من التسلح ومن ثم الوقوف في وجه المكاسب الصربية.

في عام ١٩٩٥ م واصلت القوات المسلمة والكرواتية بإحراز المزيد من التقدم على حساب صرب البوسنة، وفي شهر أيار، كان بيجوفيتش على ثقة بإنهاء حصار سراييفو قبل نهاية

العام. لكن ازدياد حدة القتال وتزايد فرص القوات المسلمة بتحقيق النصر دفعت الأمريكان إلى الوصول إلى اتفاقية إنهاء العداء توجت بمعاهدة **دايتون** للسلام[1] منهية بذلك أربعة سنين من الحرب.

---

(١) **نص اتفاقية دايتون للسلام:**

المادة الأولى: تستأنف الأطراف العلاقات فيما بينها، طبقاً للمبادئ الواردة في ميثاق الأمم المتحدة، والواردة كذلك، في وثيقة هلسنكي Helsinki النهائية، والوثائق الأخرى الصادرة من منظمة الأمن والتعاون في أوروبا EOSCE. سوف تظهر الأطراف احترامها الكامل، على وجه الخصوص، لسيادة كل طرف منها، على قدم المساواة، والامتناع عن أي تصرُّف، سواء بالتهديد، أو باستخدام القوة، أو بأي وسيلة أخرى، بمس وحدة أراضي البوسنة والهرسك، أو أي دولة أخرى، أو استقلالها السياسي.

المادة الثانية: ترحب الأطراف وتقرُّ بالترتيبات التي تم اتخاذها، فيما يتعلّق بالجوانب العسكرية للتسوية السلمية، واعتبارات الاستقرار الإقليمي، حسبما وردت في الاتفاقيات المتضمَّنة في الملحقين الأول (أ) أو الأول (ب). تظهر الأطراف، احترامها الكامل، وتأييدها، للوفاء بالتعهدات التي أقرتها في الملحق الأول (أ)، وتلتزم بتعهداتها حسبما ورد في الملحق الأول (ب).

المادة الثالثة: ترحب الأطراف وتقرُّ بالترتيبات التي تم اتخاذها فيما يتعلّق برسم الحدود بين الجمهوريتين المستقلتين: البوسنة والهرسك، وجمهورية الصرب، وهي الترتيبات الموضَّحة في الملحق ٢ من الاتفاقية. وتظهر الأطراف احترامها الكامل، وتأييدها، لتنفيذ الاتفاقات المبرمة في هذا الشأن.

المادة الرابعة: ترحب الأطراف وتقرُّ ببرنامج الانتخابات في البوسنة والهرسك، كما هو واضح في الملحق الثالث، وتظهر احترامها الكامل لهذا البرنامج، وتأييدها لتنفيذه.

المادة الخامسة: ترحب الأطراف وتقرُّ بالترتيبات التي تم اتخاذها فيما يتعلّق بدستور البوسنة والهرسك، والموضَّحة في الملحق الرابع، كما تظهر احترامها الكامل، وتأييدها للوفاء بالتعهدات التي تم الاتفاق عليها بشأن هذا الموضوع.

المادة السادسة: ترحب الأطراف وتقرُّ الترتيبات التي تم اتخاذها فيما يتعلّق:

بإنشاء محكمة للفصل في المنازعات. ولجنة لحقوق الإنسان. ولجنة لشؤون اللاجئين والمشرَّدين، ولجنة لحماية الآثار القومية، والمؤسسات العامة في البوسنة والهرسك. كما هو موضَّح في الاتفاقيات المتضمنة في الملاحق من الخامس إلى التاسع، وتظهر الأطراف احترامها، وتأييدها الكاملين، لتنفيذ جميع التعهدات في هذا الشأن.

المادة السابعة: اعترافاً بالأهمية الحيوية لرعاية حقوق الإنسان، وحماية اللاجئين والمشرَّدين، في تحقيق سلام دائم، توافق الأطراف، وتعلن التزامها التام بالأحكام المتعلّقة بحقوق الإنسان، الموضَّحة في الملحق السادس من الفصل الأول من الاتفاقية، والتزامها التام كذلك بالأحكام الخاصة باللاجئين والمشردين الموضَّحة في الفصل الأول من الاتفاقية في الملحق السابع.

المادة الثامنة: ترحب الأطراف، وتقرُّ، بالترتيبات التي تم اتخاذها فيما يتعلّق بالمدنيين (غير العسكريين) حسبما ورد

ليس للمؤرخين إلا أن يقروا بأن **معاهدة دايتون** هي أظلم خطة سلام في التاريخ. وينسب هذا الرأي لبيجوفيتش.

هذه الخطة التي أعدتها وفرضتها أمريكا ويتم تنفذيها من خلال قوات الناتو تكافىء الصرب بمنحنهم ٥٠٪ من الأراضي البوسنية، بينما ينال الكروات على ٢٥٪، ويبقى المسلمون والذين يشكلون تقريباً نصف عدد السكان محصورين في ربع أرض دولتهم من دون منافذ.

تفرض معاهدة دايتون نظام حكم في البوسنة يؤدي إلى ركود اقتصادي وسياسي دائمين وإضعاف السلطة السياسية للمسلمين.

رغم أن الكثير من مشكلات العالم الإسلامي نلقي باللوم فيها على الآخرين بينما هي أساساً من أخطاءنا، إلا أنها لم تكن كذلك في البوسنة. في مواجهة هذا المستنقع الدولي المنظم والذي هدف إلى شل وتحجيم المد الإسلامي في الدولة.

حصيلة العدوان: أسفرت حصيلة العدوان على ٣٥٠ ألف قتيل مسلم، وعدد المهاجرين (١,٢٧٠,٠٠٠) لاجئ، والزج بأكثر من ٦٠٠ ألف في المعتقلات الجماعية، قضى

بالملحق الحادي عشر، وتظهر الأطراف كامل احترامها، وتأييدها لتنفيذ جميع التعهدات التي أُقرّت في هذا الشأن.

المادة التاسعة: تبدي الأطراف تعاونها الكامل مع كافة الأطراف، المشاركة في تنفيذ هذه التسوية السلمية، كما هو مبيَّن في الملاحق المرفقة بهذه الاتفاقية، أو في أي اتفاقات أخرى ــ يقرها مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، وذلك بموجب التزام من كافة الأطراف بالتعاون في التحقيق في جرائم الحرب، وفي أي انتهاكات أخرى للقانون الدولي لحقوق الإنسان، وإقامة الدعاوى القانونية بشأنها.

المادة العاشرة: يتم الاعتراف المتبادل بين كل من جمهورية يوغسلافيا الفيدرالية، وجمهورية البوسنة والهرسك، بأن كلاً منهما دولة مستقلة، ذات سيادة، داخل حدودها الدولية. ويتم التفاوض بشأن القضايا الأخرى المتعلّقة بالاعتراف المتبادل في مباحثات تالية.

المادة الحادية عشرة: تدخل هذه الاتفاقية حيز التنفيذ فور توقيعها.

أُبرمت في باريس، في ٢١ تشرين الثاني ١٩٩٥، باللغات البوسنية، والكرواتية، والإنجليزية، والصربية.

كل نسخة من النص تُعَدُّ أصلية بصورة متكافئة.

الكثير منهم نحبه داخلها تحت التعذيب عبر الإعدامات الممنهجة، وهدم ما يزيد عن ١٤٠٠ مسجد وتحطيم ٩٠ في المائة من البنية التحتية، كما تم أثناء العدوان الهمجي جرائم اغتصاب ضد النساء من عمر ست سنوات فما فوق ولم تسلم العجائز منه مما يظهر البعد النفسي لمثل تلك العملية البشعة، كما أن الضحايا يغتصبن في اليوم أكثر من مرة وبشكل جماعي حيث سجلت حولي ستون ألف حالة، كما سجلت حالات استخدم فيه الصرب المواد الكيميائية في قتل المسلمين ٣١٨ مرة وقاموا بفرض حصار على المسلمين لتجويعهم ليموتوا جوعاً أو بانتشار الأوبئة بينهم لعدم وجود الماء لديهم للتنظيف..

إنجازاته

يقول بيجوفيتش: "هل نريد للعالم الإسلامي أن يخرج من الدوران في دوائره المغلقة: اتكاليتهم، تأخرهم، وفقرهم؟ إذاً فإن علينا أن نبين بوضوح أي طريق سيوصلنا إلى هدفنا: إقامة الإسلام في كل المجالات، في الحياة الشخصية للفرد، في العائلة وفي المجتمع ... وإقامة مجتمع إسلامي فريد يمتد من المغرب إلى أندونيسيا".

بالنسبة لبيجوفيتش لم تكن هذه مجرد كلمات، بل كانت خطة عمل اتبعها طيلة حياته. في يوغسلافيا، كانت الزيارة المتكررة للمسجد تعني نبذك من الوظائف في بلد يقوده اقتصادياً الحزب الشيوعي، الإسلام يُقدّم بأنه شر محض في كتب التاريخ، الطلاب المسلمون عرضة للدرجات المنخفضة دوماً بغض النظر عن مستوى اجتهادهم وتفوقهم.

حتى الكلمات العربية والتركية التي تملأ اللغة البوسنية كانت تحذف بعملية منظمة وتوصف بأنها دخيلة على الثقافة.

اليوم، والفضل بعد الله لهذا المقاتل الملتزم بدينه، فإن النهضة الثقافية في البوسنة والهرسك تستمر دون انقطاع:

الأطفال يدرسون دينهم في المدارس العامة. يستطيع موظفو الحكومة، ورجال الأعمال، والجنود، وطلبة الجامعات، أن يمارسوا شعائرهم الدينية باعتزاز وفخر.

إن تصلي في أحد مساجد سراييفو اليوم قد تجد عامل النظافة على يمينك وأمين المدينة على يسارك.

ـ إن مأساة البوسنة ليست مجرد أن ٣٥٠,٠٠٠ رجل و امرأة وطفل ماتوا لأن جيرانهم عادوهم بسبب دينهم، أو لأن آلاف النساء تم الاعتداء عليهم، أو لأن مئات المساجد هدمت، بل وبسبب ما يُقال لنا عن "الحضارة المدنية" الحديثة.

هل كان إيمان بيجوفيتش بأن العالم كان سيمنع ما حصل في البوسنة خطأ في شخصيته أم خيانة لثقته في القيم الإنسانية المشتركة؟

هذا السؤال بالتأكيد من الأسئلة التي حاول بيجوفيتش الإجابة عنها كمفكر مرات عدة وأياً كانت إجابته، فقد أنهى بيجوفيتش حياته منتصراً.

لقد قاد شعبه العزيز عليه إلى التحرر من الهيمنة اليوغسلافية.

ـ أنشأ جيشاً يدافع عن شعبه.

ـ قاد حركة نهضة إسلامية في البوسنة والهرسك، مع الحفاظ على حقوق النصارى في المناطق التي تحت إدارته.

مؤلفاته

ـ عوائق النهضة الإسلامية.

ـ الأقليات الإسلامية في الدول الشيوعية.

ـ **البيان الإسلامي:** وهو مجموعة مقالات كان نشرها في مجلة (تاكفين) باسم مستعار. وهذه المجلة كانت تصدرها جمعية العلماء في البوسنة، وكان يقرؤها خمسون ألف مسلم، وقد جمعها إبنه الأستاذ بكر، وأصدرها في كتاب بعنوان (البيان الإسلامي) وهو شرح لأساسيات النظام الإسلامي، وقد أثار نشر هذا الكتاب ضجة كبيرة.

ـ **الإسلام بين الشرق والغرب:** وهذا الكتاب الكبير هو أشبه بموسوعة علمية، هزّ به أركان العالم الغربي، فقد خاطب به قادة الفكر هناك، وكان فيه عالماً وفيلسوفاً وأديباً وفناناً مسلماً تمثّل كل ما أنجزته الحضارة الغربية، ثم ارتقى بتلك العلوم عندما ربطها بهدي السماء الذي جاء به الإسلام.

ـ تأملات في السجن.

ـ **هروبي إلى الحرية:** كتبه في السجن، عندما اعتقله الشيوعيون عام ١٩٤٩م بسبب نشاطه السياسي، ولانتمائه إلى جمعية الشبان المسلمين، وحكموا عليه بالسجن مدة خمس سنوات.

الاستقالة

قرر بيجوفيتش بأنه لا يملك القوة على الاستمرار، حيث قال:

"يجب أن يأتي شخص ما قادر على التعامل مع مثل هذه المشاكل".

في عام ٢٠٠٠م، قرر الرجل_ الذي يسميه العديد من البوسنيين **بالجد** حباً له_ التنحي عن الرئاسة، عزا بيجوفيتش الأمر لمشاكل صحية، لكنه أيضاً قال:

" المجتمع الدولي يدفع الأمور للأمام في البوسنة، ولكنه يفعل ذلك على حساب المسلمين. أشعر بأن هذا ظلم، لا أستطيع التعايش مع مثل هذه الأمور ".

وفاة عزت بيجوفيتش

أعلن راديو البوسنة وفاة الزعيم علي عزت بيجوفيتش يوم الأحد ١٩ تشرين الأول، ٢٠٠٣م. في مستشفى بسراييفو. و تم دفنه في ٢٢ من نفس الشهر بمقبرة الشهداء كواتشي في سراييفو.

وذكر **سليمان تيهيتش** العضو المسلم بالرئاسة البوسنية الثلاثية:

إن الرئيس البوسني السابق توفي عن عمر ناهز ٧٨ عاماً في المستشفى الذي أدخل إليه في العاشر من أيلول الماضي بعد إغماء تسبب في إصابته بكسور في أربعة من أضلاعه. ونقل بيجوفيتش إلى قسم أمراض القلب قبل أسبوعين لعلاجه من حالة مزمنة في القلب. وتعرض الزعيم البوسني لنوبة قلبية عام ١٩٩٦م وأدخل المستشفى منذ ذلك الوقت أكثر من مرة.

كما عولج في العاصمة السعودية الرياض من مشاكل بالقلب بمستشفى الملك فيصل عام ١٩٩٩م.

عشرات الآلاف من المعزين الذين حضروا جنازته في سراييفو، تشاركوا مع الملايين في العالم الإسلامي بالدعاء لهذا القائد الإسلامي الأوروبي الذي احترموه وأحبوه.

رسائل العزاء التي انهالت على البوسنة من قادة أكثر من ٨٠ دولة كانت مشهداً آخر لعلامات الحب والاحترام.

اتفقت مختلف الأطياف على مكانة هذا الرجل والذي سيسجل له التاريخ بأنه أب الدولة البوسنية الحديثة.

ضريح الرئيس البوسني الراحل علي عزت بيجوفيتش، موجود في مقبرة شهداء الحرب الأخيرة في كواتشي بالمدينة العتيقة.

لقد كان علي عزت بيجوفيتش رمزاً للقائد الوطني الملتزم بقضايا شعبه، فلازم سراييفو وقت حصارها ورفض المغادرة وصمد مع شعبه وقاسمه مصيره المحزن والمفجع حتى النهاية، ويوم جاء المتطوعون العرب والإسلاميين لمساعدة شعب البوسنة وافق على طلبهم رغم أنهم يمثلون الخط الجهادي الإسلامي المتشدد، بينما كان هو معتدلاً جداً و يمثل خطاً آخر لا يلتقي مع نهج التشدد الذي أقيمت على أساسه الجماعات الإسلامية الجهادية، ويوم طلب الأمريكان منه طردهم رفض ذلك، لأنه رجل شهم وقائد يحترم عقله ولا يخون الأصدقاء والعهد والأمانة.

- **وفاة بيجوفيتش هي أحد المحطات التي ينبغي على المسلمين التوقف عندها:**

إنه واحد من قلة من قادة السياسة الإسلاميين في وقتنا المعاصر الذي أظهر حباً وفهماً صادقين للإسلام.

تتضمن سيرة حياته المهنية دروساً حول الطريقة التي ينظر بها الغرب إلى المسلمين في أوروبا، وكيف يتعاملون مع القادة الإسلاميين الناشطين.

نعم رحل بيجوفيتش.. ولكن سيخلّد التاريخ اسمه في أنصع صفحاته، ولا يأبه بأولئك جميعاً، وسيترك أثره في مستقبل بلده ومنطقة البلقان وأوروبا وعلى المستوى الإسلامي، رغم كلّ من حاول أن يمنع ذلك الأثر من النماء والامتداد، فالحقّ لا يموت، ولا يوأد، وكما صنع على طريقه رجالاً من أمثال بيجوفيتش، وشعوباً من مثل شعب البوسنة

والهرسك، فلسوف يصنع المزيد من الزعماء الأفذاذ، وسيحيي عزيمة المزيد من الشعوب المنكوبة حتى الآن بما أفرزه القرن الميلادي العشرون.

لقد كان بيجوفيتش يمثل منعطفاً لا يستهان بشأنه ومفعوله وأبعاده في تاريخ المسلمين وفي تاريخ البشرية، وإنّ من السنن التاريخية أنّ التحوّلات الكبرى التي تبدأ بأفراد من أمثال بيجوفيتش، لا بدّ وأن تصل إلى غايتها، وإن بدا الزمن طويلاً على من يستعجلون النصر، فالقضية قضية أجيال، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، ويعلم الظالمون أيّ منقلب ينقلبون.

ماذا قال عزت بيجوفيتش في وصيته قبيل وفاته؟

عثر الأطباء في فراش الراحل علي عزت بيجوفيتش على ورقة خطَّها قبل وفاته كما ذكر، وهي عبارة عن أبيات شعرية باللغة البوسنية يكشف عنها لأول مرة بعد ٥ سنوات على رحيله، يقول فيها:

«رسالة إلى نفسك.. لو بلغت هامتك عنان السماء.. سيكون الموت نهايتك.. لو طفت الأرض شرقًا وغربًا سيكون السكون بدايتك.. تستقبل في حياتك ضيوفًا كثر، لكن ضيفًا غير مرغوب فيه سيحل عليك.. كل شيء سينتهي لتبدأ حياتك بعد الموت.. هذا العالم سيموت.. لذلك كن مستقيماً».

مع علي عزت بيجوفيتش:

حامل الرسالة الإنسانية

كان علي عزت بيجوفيتش إسلامياً في العمق، لكن بأفق إنساني رحب.

ويحتار المطالع لتراثه من سعة اطلاعه على الثقافة الإنسانية. فهو ضليع في الفلسفة، والأديان، والقانون، والتاريخ، والأدب، والرسم.

وتدل هوامش كتبه وثراء استشهاداته وملاحظاته على اطلاع مذهل على ثمرات الفكر الإنساني في الشرق والغرب، وعقل منهجي ناقد لما قرأ، متمثل له في ذاته. وكان يرى أن ركام المعلومات من غير هضم عبء على حامله، وليس من المناسب تسميته معرفة أصلاً. وقد كتب في ذلك:

"المعرفة المفرطة تخنق أحياناً الفكرة الإبداعية... يمكن للإنسان أن يمتلك المعرفة في عدة مجالات، لكن من غير تنظيم وبدون رؤيا... الكثير من المتعلمين عاشوا وماتوا بدون معرفة حقة... كومة من المواد الجيدة بدون مخطط تبقى كومة فقط".

أسهم علي عزت إسهاماً جليلاً في الفكر الإسلامي والإنساني من خلال كتبه. وأهم هذه الكتب هي (الإسلام بين الشرق والغرب) و(هروبي نحو الحرية)، ثم (البيان الإسلامي). آمن إيماناً عميقاً بالإسلام رسالة إنسانية، تحتاجها البشرية اليوم حاجة مُمضَّة.

وقد قدم الإسلام بصفته طريق الوسطية بين المادية العمياء التي تغلّف الأفق الإنساني وتحجب رؤيته، والروحانية العرجاء التي تؤصِّل الانهزامية والانسحاب من معركة الحياة.

فالإسلام هو "الطريق الثالث" كما يدعوه علي عزت ..الطريق الذي لا يشطر الذات الإنسانية شطرين، بل يصوغها صياغة متزنة، تجعلها قادرة على التوفيق بين واقعها المتناهي وأفقها اللامتناهي. فالروحانية الواقعية هي أهم سمات الإسلام، والإنسان الكامل في الإسلام –كما يراه علي عزت– ليس القديس، بل المؤمن الواقعي القوي، الملتزم برسالته الاجتماعية ودوره في الحياة.

ولو فهمنا الإسلام حق الفهم ـ يقول علي عزت ـ فسنجد أن الإنسان الواقعي الملتزم أعظم من القديس، وأن ذلك هو السر وراء أمر الملائكة المعصومين بالسجود لآدم الخطّاء.

عزت بيجوفيتش بين التسامح والقوة:

كان العفو والصفح من أبرز سمات عزت بيجوفيتش على المستوى الشخصي .. ولكن موقفه كرئيس لبلاده وأمين على وطنه في مواجهة العدوان الصربي الغاشم كان حاسماً صلباً قاطعاً .. فلم يدّخر وسعاً ولا وسيلة من وسائل تدعيم القوة لشعبه في رد العدوان الصربيّ إلا اتخذها، أو سعى جاهداً للحصول عليها ...

ولكنه في كل الأحوال لم يستسلم لغواية الإنتقام .. وكانت أسباب الإنتقام ودوافعه كثيرة ومتكررة .. كان أعداؤه يتفننون في أساليب القتل والتنكيل والحصار والتجويع والإذلال .. وكانت القيادات الصربية تدرّب جنودها وتدفعهم دفعاً لارتكاب المجازر ضد المدنيين وانتهاك الأعراض وتمزيق الأجساد، بل كانت تعاقب المتراخين في تنفيذ الأوامر، بينما كان عزت بيجوفيتش يكبح جماح الغضب المتأجج في صدور جنوده وضباط جيشه .. ويمنعهم من الإنتقام أو ممارسة العقوبات الجماعية ضد الصرب ...!! كانت نصائحه وأوامره المشدّدة إلى ضُباطه جنوده:

" لا تمسّوا الأطفال ولا النساء ولا الشيوخ بسوء .. لا حرق للمنازل أو الزروع أو الحيوانات ..."

وكان الصرب يمارسون كل هذه الجرائم ضد المسلمين ببشاعة لا نظير لها.

فبعد أن تم انتخابه وتولّيه رئاسة الجمهورية في البوسنة سنة ١٩٩٠م .. ولم يكن قد انقضى على خروجه من السجن سنة واحدة، ظن بعض الناس أن فرصته قد واتته لينتقم من أعدائه الذين لفقوا له التّهم وزوروا شهادة الشهود وحكموا عليه بالسجن مع الأشغال الشاقة، ولكنه لم يفعل، فلما سأله الصحفيون:

ألا تنتقم للظلم الذي وقع عليك ..؟ قال: "لا أنتقم الآن ولا بعد الآن .. نعم إنني لازلت أشعر بالظلم الشديد في أعماق نفسي، ولا أستطيع أن أحملها على نسيان التجربة المريرة .. ولا نسيان الوجوه الكريهة التي ارتبطت بها، ولا خِسـّة الضمائر والنفاق والكذب الذي أحاط بالأمر كله، ولكني لا أنتقم أبداً .. فأنا الآن مسؤول عن حياة هؤلاء الناس جميعاً وعن حقهم في الحياة والحرية ..."

وبالفعل كان عدد كبير من هؤلاء الخصوم لا يزالون في وظائفهم خلال فترة حكمه .. لم يمسسهم بسوء.. أما رأس الجريمة وزير الداخلية...وبعض القضاة المتحيّزون للسلطة الشيوعية فقد فرّوا من البوسنة إلى موطنهم الأصلي صربيا.. ثم كنسهم التاريخ في تراب النسيان ...

بيجوفيتش الفيلسوف

لم يكن بيجوفيتش فحسب هو الرئيس الأسبق لدولة البوسنة، ولا زعيمها السياسي، ولا قائدها الفكري والروحي الذي واجه بها ومعها أبشع حرب عدوانية دموية وقعت في أوربا بعد الحرب العالمية الثانية .. حرب كان يُقصد بها إبادة شعب فيما سُمّيَ بحرب (التطهير العرقي) .. لم يكن بيجوفيتش كل هذا فحسب وإنما كان أيضاً صاحب اجتهادات بالغة الأهمية في تفسير ظاهرة الإنسان في تركيبتها الفريدة وارتباطها المبدع بما سمّاه بثنائية (الإنسان والطبيعة)، هذه الظاهرة هي نقطة إنطلاقه الفكري وهي بالتالي الركيزة الأساسية لمنظومته الفلسفية وإشراقاته الفكرية المبدعة ...

يُبلْور لنا الفيلسوف المصري "عبد الوهاب المسيري" هذه الحقيقة في مقدّمة رائعة له على كتاب بيجوفيتش " الإسلام بين الشرق والغرب " نذكر منها: إن بيجوفيتش قد استطاع بمقدرة تحليلية فائقة تحليل الحضارة الغربية وكشف النموذج المعرفيّ المادي العدمي الكامن في علومها وفي نموذجها المهيمن، ثم يتصدى لها ويقاوم محاولتها إبادة شعبه.

ولكنه في ذات الوقت يستفيد من اجتهادات المفكرين الغربيين المدافعين عن الإنسان، ولعل إيمانه بالإنسان (الذي ينبع من إيمانه بالله وإدراكه لثنائية الطبيعة البشرية) هو الذي شد من أزره إلى أن كتب الله له ولشعبه النجاة، وهو الذي مكّنه من أن يلعب هذا الدور المزدوج... دور المجاهد والمجتهد، دور الفارس والراهب معاً ...

يلاحظ المسيري أن استيعاب بيجوفيتش للفلسفات الغربية، ليس كإلمام أساتذة الفلسفة الأكاديميين الذين يعرضون أفكار هذه الفلسفات المختلفة عرضاً محايدًا .. وإنما هو استيعاب المتفلسف الحقيقي الذي يقف على أرضية فلسفية راسخة .. ويطل على الآخر فيدرك جوهر النموذج المعرفي الذي يهيمن عليه.. فنراه يتحدث بطلاقة غير معتادة عن نيتشه وياسبرز وكيركجارد، ويعبّرعن هذا في سطور قليلة تبين مدى استيعابه لرؤاهم الفلسفية، وتمكّنه من الوصول إلى أعماقها ليرى بنيتها المادية العدمية المدمرة، أو بنيتها الإيمانية الكامنة ...

مسلم أوروبي

في لقاء مع مندوب صحيفة (تشيرن) الألمانية في ٥ تشرين الثاني ١٩٩٤م سأله الصحفي قائلاً: "السيد الرئيس أنت معروف كمسلم حريص على التقاليد الأوربية والتسامح الأوربي .. والمنفتح على العالم بأسره .. ولكن هناك تقارير في الصحافة الأوربية تقول إن هناك الآن أسلمة جارية في البوسنة والهرسك ... فهل هذه مجرد شائعات..؟

يجيب عزت بيجوفيتش:

سوف أكون معك شديد الصراحة وأقول لك: لا ليست هذه شائعات بل حقيقة.. فالعودة إلى الدين أصبحت ظاهرة عالمية في كل مكان تمكّن الشيوعيون فيه من قمع الدين، على مدى خمسين إلى سبعين سنة ماضية .. نعم هناك أسلمة في البوسنة كما تسميها .. وهى صحوة إسلامية ولكن هناك في البوسنة بنفس القدر صحوة أرثوذكسية وصحوة كاثوليكية.. والفرق أن عودة المسيحيين إلى دينهم لم تلفت نظر أوروبا المسيحية وهذا أمر أفهمه ولا ألومها عليه.. ولكنني أود فقط أن أصحّحك في نقطة واحدة وهي أن تسامحي الذي تتحدث عنه ليس مرده إلى كوني أوروبي، وإنما مصدره الأصيل هو الإسلام.. فإذا كنتُ متسامحاً حقاً كما تقول فذلك لأنني أولاً وقبل كل شيء مسلم ثم بعد ذلك أوروبي

ويتابع بيجوفيتش شارحاً لرؤيته فيقول:

لقد لاحظت من تجربتي في حرب البوسنة أن أوروبا لديها أوهام تعجز عن التحرّر منها، رغم الحقائق الدامغة .. فقد دُمّـرت أثناء هذه الحرب مئات المساجد والكنائس كلها بلا استثناء، دمرها مسيحيون و لم يدمّر المسلمون كنيسة واحدة .. وقبل ذلك حكم الأتراك العثمانيون(وهم مسلمون) البلقان خمسمائة سنة فلم يهدموا كنيسة ولا أبادوا شعباً من الشعوب..وحافظوا على الآثار المعمارية كلها.. وعلى الأدْيـرة الشهيرة في جبال (فروشكا جورا) القريبة من بلغراد .. ولكن هذه الأديرة نفسها لم تصمد ثلاثة أعوام فقط تحت الحكم الأوروبي .. فقد دمّـرها الشيوعيون والفاشيون خلال الحرب العالمية

الثانية ... و لم يكن هؤلاء الشيوعيون والفاشيون الذين ارتكبوا هذه الجريمة من آسيا، بل من قلب أوروبا .. وحتى هذه اللحظة لـــم تـــُبْدِ أوروبا حساسية كافية ضد الفاشية المتصاعدة في البلقان.. بل وقفت تتفرج على الدمار والقتل الوحشي الذي ارتكبه الصرب في البوسنة .. إنني أعتـــزّ بأوروبا وأحمل لها كل تقدير .. وأنا نفسي أوروبي .. ولا أستطيع أن أتخلـــّص من جلدي .. ولكنّى أقـــرّر أن أوروبا لديها فكرة عن نفسها أعلى بكثير من حقيقتها ...!!

عزت بيجوفيتش والإخوة الإسلامية

ويذكرنا علي عزت بحقيقة هامة وهي أننا يجب ألا نستهين بقدر الأخوة بين المسلمين ولا بالعاطفة القوية التي تربطهم في جميع أنحاء الأرض بالقرآن، والتي تدل على أن العالم المسلم لم يمت وإنما لا يزال حياً ينبض بالحياة .. "**فحيث توجد مثل هذه المشاعر لا يوجد موت**".. إن العالم المسلم ليس صحراء مقفرة وإنما هو تربة عذراء في انتظار يد الزارع .. وبفضل هذه الحقائق تصبح مهمتنا واقعية قابلة للتحقيق ..

إن مهمتنا تتمثل في تحويل هذه المشاعر الكامنة إلى قوى فعالة مؤثرة. فالإخلاص للقرآن لابد أن يتحول إلى تصميم على تطبيقه، وأن تتحول الجماعة الإسلامية القائمة على الوجدان إلى جماعة واعية منظمة .. وأن يتحول حب الإنسانية إلى أفكار واضحة لتصبح هي المحتوى الأخلاقي والاجتماعي للقوانين والمؤسسات".

المشروع الإصلاحي لبيجوفيتش

علي عزت بيجوفيتش فوق أنه فيلسوف ومفكر إسلامي عظيم، هو أيضاً مصلح إسلامي عظيم .. فقد ضمّن مبادئ فكره النظري التحليلي عن الإسلام كتابه (الإسلام بين الشرق والغرب)..أما فكره التطبيقي االتركيبي فقد تبلور في مشروعه الإصلاحي الذي خصص له كتاباً آخر بعنوان: (الإعلان الإسلامي).. يحدد بيجوفيتش في مقدمة هذا الكتاب الجمهور الذي يتوجه إليه بالخطاب، فيقرر أن الكتاب لا يخاطب غير المسلمين ولا يخاطب الذين يشككون في تميّز الإسلام عن النظم أو المدارس الفكرية الأخرى.. إنما يخاطب المسلمين الذين يدركون حقيقة انتمائهم للإسلام .. والذين تحدثهم قلوبهم حديثاً صريحاً واضحاً عن طبيعة ولائهم الإسلامي .. ومهمة الكتاب بعد ذلك أنه يكشف لهم النتائج التي تترتب على هذا الموقف الذي التزموا به. يكشف لنا هذا الكتاب عن نظرات ثاقبة في تشخيص علل المجتمعات المسلمة وأسرار تخلّفها.. وهو بعد أن يشخّص ظاهرة التخلف في الشعوب الإسلامية يتناول طبيعة المشروع الإسلامي أو النظام الإسلامي الذي يدعو إليه ويوضّح أبعاده وعناصره، ثم ينتقل إلى معالجة المشكلات الأساسية التي تواجه هذا المشروع .. ويبدأ في ذلك بتوضيح إشكالية أساسية في قلب المجتمعات المسلمة هي التي تعوق النهضة الإسلامية، وهي التي تكرّس استمرارية التخلف .. فهو يرى أن أي نهضة في المجتمعات المسلمة تصطدم بنوعين متضادين من الناس ولكن بينهما عنصر مشترك وهما: المحافظون الجامدون على الأشكال القديمة، ودعاة الحداثة الذين يتطلعون إلى الأشكال الأجنبية في التقدم ولا يرون سواها.. أما العنصر المشترك بينهما فهو النظرة القاصرة أحادية الجانب إلى الإسلام، حيث يعتبرانه مجرد دين، بمعنى أنه مقتصر على الحياة الروحية للفرد، ولا شأن له بتنظيم الحياة الدنيا.

ويلاحظ علي عزت أن دعاة الحداثة هم الذين يهيمنون على الحكومات وعلى التعليم والحياة العامة في البلاد المسلمة .. ويكشف لنا عن سمة تميزهم وتيسر لنا التعرف عليهم: " فهم يفخرون بما كان يجب أن يخجلوا منه، ويخجلون مما كان يجب أن يفخروا به .. لقد جلبوا إلى أوطانهم أفكاراً ثورية أجنبية وبرامج إصلاح ومذاهب إنقاذ موصوفة لعلاج كل المشكلات، فإذا تأملناها ملياً نجد – لدهشتنا – نماذج لا يصدقها عقل في قصر نظرها وارتجالها..." وينتهي علي عزت إلى نظرية بالغة الأهمية حيث يرى أن جميع نجاحاتنا وإخفاقاتنا في الأخلاق والسياسة إنما هي مجرد انعكاس لفهمنا للإسلام وللكيفية التي طبقناه بها في الحياة: "لقد كان ضعف تأثير الإسلام في الحياة العملية للمسلمين مصحوباً دائماً بانحطاطهم وانحطاط مؤسساتهم السياسية والاجتماعية .. وتاريخ الإسلام كله منذ بدايته إلى يومنا هذا يؤكد هذا التطابق .. كأن هذا التطابق هو المصير الذي لا مناص منه للشعوب المسلمة .. وأحد قوانين التاريخ الإسلامي نفسه".

ويرتبط بهذه النظرية تأكيد علي عزت أن القرآن "هو الفكرة المركزية في الأيديولوجية الإسلامية والممارسة الإسلامية" ويرى أن إشكالية القرآن في المجتمعات المسلمة ترجع إلى أن هذه المجتمعات تتعلق به تعلقاً عاطفياً ولكنها لا تستطيع تطبيقه في حياتها .. وهنا يكمن الفصام بين الكلمة والفعل في العالم المسلم .. وينسب ظواهر الفساد والانحراف والسطحية والتنطع والتخلف جميعاً إلى هذا التناقض الأساسي بين حماسنا المشتعل تجاه القرآن وبين الإهمال الكامل لمبادئه في الممارسة العملية.

ويرى علي عزت أن أسوأ الملامح في أوضاع المسلمين العامة تتمثل في تلك الفجوة المأساوية بين النخبة المهيمنة وبين الشعوب في البلاد المسلمة .. وأن افتقاد التوافق بين عناصر الفكر والقيادة من ناحية وبين الجماهير من ناحية أخرى يخلّ بالشرط الأول لأي

إنجاز عظيم. يرجع بيجوفيتش السلبية واللامبالاة لدى جماهير المسلمين إلى وجود هذه الفجوة.. ويرى أن أي برامج إصلاح لن يكتب لها النجاح أبداً إذا كانت معادية للإسلام متجاهلة لمشاعر الجماهير المسلمة .. وستجد النخبة من دعاة الحداثة "أنهم يضربون برؤوسهم في صخرة الرفض العنيد واللامبالاة الدفينة من جانب الناس البسطاء الذين يشكلون الغالبية العظمى من الأمة".

ويؤكّد على حقيقة أن "المجتمع الإسلامي لا يُبنى ولا يتم إصلاحه بالقانون أو باسم القانون ولكن باسم (الله) وعن طريق تعليم الإنسان المسلم وتربيته"، ويلفت النظر إلى ظاهرة متفشية في المجتمعات المسلمة حيث تتكاثر القوانين وتتشعب وتتعقد .. هنا يحذرنا بأن هذه علامة أكيدة على وجود شيء بالغ الفساد في المجتمع .. ويرى في هذا دعوة للتوقف عن إصدار مزيد من القوانين والبدء بتعليم الناس وتربيتهم .. ذلك لأنه "عندما يتجاوز الفساد في بيئة ما حداً معيناً يصبح القانون عقيماً".

يقوم النظام الإسلامي – كما يراه علي عزت – على ثلاثة عناصر لا يمكن الاستغناء عنها وهي: الاستقلال والحرية والديمقراطية .. والاستقلال الحقيقي – عنده – هو استقلال روحي وفكري، وعلامة على أن شعباً قد وجد هويته واكتشف قوته الذاتية. وينبه علي عزت إلى حقيقة هامة وهي أنه كلما ابتعد نظام ما عن الإسلام كلما قل دعم الشعب له، ومن ثم يجد النظام نفسه مضطراً للبحث عن دعم خارجي .. فالتبعية التي تغرق فيها هذه النظم ليست إلا نتيجة مباشرة لتوجهاتها المعادية للإسلام .. وتتفاقم الأمور عندما تشعر هذه النظم بالمقاومة والعداء من جانب الشعب، فتلجأ إلى العنف لتمرير سياستها بالقوة.

ويحذر علي عزت من الانزلاق نحو وهم "الغاية تبرر الوسيلة" فقد أدى هذا المبدأ إلى

جرائم لا حصر لها .. ولا أحد يملك الحق في تشويه وجه الإسلام أو الإساءة إلى النضال الشريف باستعمال العنف الجامح .. فالغاية النبيلة لا يمكن الوصول إليها بوسائل دنيئة".

ويعارض معارضة شديدة الاستيلاء على السلطة بالقوة بحجة أن يقوم النظام الجديد بعد ذلك ببناء المؤسسات المناسبة .. وبتربية الشعب تربية دينية وأخلاقية وثقافية لبناء مجتمع إسلامي، فهو يرى أن هذا "مجرد غواية" وأن التاريخ لا يذكر لنا أي ثورة حقيقية جاءت عن طريق السلطة ولكن عن طريق التربية .. وكانت معنية في جوهرها بالدعوة الأخلاقية". الترتيب الصحيح – عند علي عزت – أن يقوم المجتمع الإسلامي أولاً ثم يأتي بعده النظام الإسلامي وليس العكس.

وفي مجال الوحدة الإسلامية يؤكد علي عزت أن الإسلام بطبيعته وروحه أقدر على توحيد الدولة الإسلامية برباط أقوى من روابط المصلحة التي توحّد الدول الأوروبية، فالإسلام لا يقيم الوحدة بين المسلمين على المصالح فقط [هو لا ينكر المصالح] ولكنه يجمع إليها عوامل الوحدة الروحية والمبادئ الأخلاقية والرسالة الإنسانية في إقامة العدل بين البشر .. وتلك هي مهمة (الأمة الإسلامية)، وليس معنى ذلك بالضرورة "الدولة الإسلامية العالمية الواحدة" كما فهم البعض خطأ أو كما أراد البعض أن يوهمنا بأن هذا هو ما يدعو إليه علي عزت في كتابه "الإعلان الإسلامي".

لقد عالج علي عزت هذه النقطة بوضوح تام في الفصل الثالث تحت عنوان: "الجامعة الإسلامية والحركة القومية" حيث تحدث عن "وحدة إسلامية كبرى" ويفسر لنا علي عزت طبيعة هذه الوحدة فيقول:

"... نحن نعتقد أنه لا يوجد ما هو أقرب إلى طبيعة الأمور وإلى الواقعية من مطلب اتحاد المسلمين بشتى أشكال الوحدة ليكونوا أقدر على معالجة مشكلاتهم المشتركة،

وأن يتجهوا بصورة تدريجية نحو بناء مؤسسات اقتصادية وثقافية وسياسية – تتجاوز القوميات- لكي يحققوا التنسيق والعمل المشترك في هذه المجالات الهامة". ويرد علي عزت بقوة على أدعياء الواقعية من المسلمين الذين يرون استحالة تحقيق هذه الوحدة حيث يقول: "..الحق أن هذه الواقعية مصدرها الجبن والخضوع لسطوة الأقوياء في هذا العالم .. إن منطق هذه الواقعية يقول: ينبغي للسادة أن يظلّوا أسياداً وأن يبقى العبيد عبيداً .. إن أدعياء الواقعية عندنا غير مؤهلين للإيمان أو العمل، وهذا هو سر واقعيتهم المهينة عندما يقولون إن وحدة المسلمين حلم لا يمكن تحقيقه فإنهم إنما يعبرون عن عجز يستشعرونه في أنفسهم.. فالاستحالة ليست في العالم الخارجي بل في صميم قلوبهم ...!

ومن المزاعم التي أثيرت حول فكر علي عزت أنه يرفض كل ما هو غير إسلامي في مجتمع المسلمين .. ولكن علي عزت – بعكس هذا الزعم – ينظر بإمعان إلى تجارب النظم الأخرى في العالم ويرى فيها أشياء نافعة وأخرى ضارة .. ولذلك فهو يفرق بين ما هو "غير إسلامي وما هو ضدّ إسلامي" .. وهو يرفض كل ما هو "ضد الإسلام" ولكنه لا ينكر الأول بل ينفتح عليه برحابة عقل وسعة صدر حيث يقول: "إذا تحررنا من هوس الحتمية التاريخية والتفتنا إلى وسطية الإسلام يمكننا دون تعصبات أن نكتشف ما تنطوي عليه هذه الأنظمة القائمة من جوانب الخير والشر لا باعتبارها رأسمالية أو اشتراكية، ولكن باعتبارها تجارب إنسانية معينة تمارسها المجتمعات المعاصرة". ويمضي لتعميق هذه الفكرة فيقول: "إذا نحن وضعنا الشعارات والمصطلحات المضللة جانباً وأخذنا في حسابنا فقط الحقائق التي نراها ماثلة أمامنا فيجب أن نعترف بالتطور الهائل في العالم الرأسمالي الذي تكشف عنه حيويته وقدرته على دفع عجلة العلم والاقتصاد إلى الأمام، إلى جانب

أنه استطاع أن يتيح درجة أعلى من الحرية السياسية والأمن القانوني" ومن ناحية أخرى "لا يمكننا أن نتغاضى عن إنجازات النظام الاشتراكي خصوصاً في مجال تعبئة الموارد المادية وفي التعليم وفي القضاء على صور الفقر التقليدية .. وفي نفس الوقت "لا يسعنا أن نتغاضى عن جوانب مظلمة وغير مقبولة في التقدمات الرأسمالية والاشتراكية ولا أن نتجاهل الكوارث الكبرى التي تزلزل كلاً من النظامين من وقت لآخر".

ويخلص علي عزت من هذا كله إلى أن الانفتاح العملي للإسلام في مجال حل المشكلات يجعله في وضع متميز يمكنه من دراسة التجارب الإيجابية والسلبية للآخرين دون تعصبات" .. وبالتالي الانتفاع بأفضل ما في هذين النظامين ...

من كتاب هروبي إلى الحرية

الكتاب يتكون من جزأين:

الجزء الأول: يتألف من آلاف الاقتباسات المفيدة والنافعة، إلى جانب آراء الأستاذ علي عزت في الحياة، والخير والشر والإبتلاء، وأغلب الاقتباسات كانت من: الحرب والسلام لـــتولوستوي، كتب كانط، الإخوة كارمازوف لـــدستوفيسكي، وفلسفة التاريخ لـــهيجل، و جرائد ومجلات كانت تقع تحت يده يقتبس منها أخباراً مفيدة نافعة ...

أما الجزء الثاني: عبارة عن مراسلات وخطابات أبناؤه له وهو في السجن.

الكتاب مقسم إلى ست فصول:

الفصل الأول: عن الحياة والناس والحرية.

الفصل الثاني: عن الدين والأخلاق.

الفصل الثالث: ملاحظات سياسية.

الفصل الرابع: على هامش كتاب (الإسلام بين الشرق والغرب).

الفصل الخامس: الشيوعية والنازية بعض الحقائق التي لا يجوز نسيانها.

الفصل السادس: ملاحظات عن الإسلام.

ويمكن أن نقول أن هذا الكتاب عبارة عن الخواطر أو الملاحظات أو التعليقات التي سجلها بيجوفيتش أثناء وجوده في السجن لمدة ثلاثة عشر عاماً أثناء العهد الشيوعي ليوغسلافيا السابقة، ولا يجمع بينها أي رابط سوى أنها كتبت داخل جدران أربعة، مع ما تكون النفس داخلها في حالة خاصة تنتظر المجهول وتتبع أي خبر من شأنه أن يحمل تنبؤاً عن المستقبل.

ذكرت صحيفة "المستقبل" اللبنانية أن بيجوفيتش يقصد في كتابه تسجيل خواطر مكنته للحظات من تجاوز جدران السجن للتحليق في أجواء الحرية التي سكنت روحه، لذلك تبدو أجمل خواطره وأقواها تلك التي يسطرها عن الطغيان والاستبداد والدكتاتورية. خواطر بيجوفيتش لم تقتصر على الحقل السياسي بل شملت أيضاً تعليقاته على الكتب

والروايات التي قرأها أثناء سجنه، لذلك تعكس بشكل أو بآخر تطور الوعي الفكري لديه من خلال قراءاته.

يضم الكتاب تعليقات كثيرة على الأداء السياسي لحكومات الدول الغربية أو العالم الثالث دون إشارة إلى حكومته إلا بلطف بسيط.

طريقة حفظ المذكرات: ومن الطريف جداً ما يذكره عن طريقة حفظ هذه المذكرات على الرغم من الرقابة الصارمة التي فرضت عليه داخل السجن، حتى أن طابعته الخاصة تعبت كثيراً من فك رموز شيفرته الخاصة للكلمات الخطرة "الدين، الشيوعية، الحرية، الديمقراطية، الإسلام، السلطة" وتم استبدالها في الملاحظات بكلمات أخرى.

كان هو الوحيد القادر على معرفتها، ويروي أنه كان يسجل خواطره على دفتر حتى تجمع لديه ثلاثة عشر دفتراً، وعندما كان ينتهي من كل دفتر لم يكن يضعه في خزانته، وإنما كان يودعه لدى أحد زملائه السجناء الذي كان مداناً بسبب جريمة قتل، وهكذا كان يمكن مصادرة دفتر واحد فقط هو الذي يعمل به.

نستخلص من هذا الكتاب:

١- تحرير الروح:

فلا نتفاجىء إن علمنا أن "هروبه إلى الحرية " لم يعني فيه أن يقص علينا مغامرة له كيف تسلق جدران السجن، أو كيف قام برشوة أحد الحراس، أو الخطة التي اتبعها مع زملائه في السجن لتنظيم هروب منظم !! لم يعني علي عزت هنا في كتابه الهروب الجسدي، بل أراد أن يتحفنا بالبطولة الحقيقة، حين يهرب الإنسان بروحه إلى الحرية، وكأنه يعطينا درساً.. كم عدد عبيد الأرواح طليقي الأجساد؟

٢- القراءة وشغل الوقت:

حيث ملأ وقته في السجن بالقراءة، وهي نزهة الأنفس، وغذاء الروح، وكان يقرأ كل ما تقع عليه يده، أو ما يسمح بالوصول إليه من الكتب.

٣- لو تم تخيير أي سجين بين الهروب الجسدي أو الهروب العقلي سوف يختار بالتأكيد الهروب الجسدي ولكن إن لم يكن ذلك ممكناً، فإن الهروب إلى العقل والأدب هو الهروب المجدي، هو هروب إلى آفاق مجهولة لا يوجد فيها معتقلات ولا سجون، وإنما أدب وأفكار، وحرية لا يقف في طريقها شيء، لأنها من العقل الذي لا يُعتقل.

من أقوال علي عزت بيجوفيتش

«الحُب الحقيقي يختار لسكنه القلب النبيل. القلوب الأنانية لا تستطيع أن تحب»

- هناك فرق مابين الحياة البيولوجية والحياة الروحية، أغلب الناس يعيشون بيولوجياً ولكنهم موتى نفسياً.
- يحتقر الناس الوعظ لأنه كلام، ويقدرون الأخلاق لأنها فعل.
- إن عمل الخير وجائزته لا يمكن فصلهما فهما مثل الشيء و ظله. وإذا لم تشعروا بهذه المكافأة، فإن عملكم لم يكن حقيقياً، إنه يبدو كذلك فقط!!

انظروا إلى الطفل الذي يطعم الطائر الجريح، أو يطعم كلباً صغيراً، يمر بمحاذاته هل يبحث عن أي مكافأة خاصة؟ أم أنه يشعر بأنه كوفىء؟ انظروا إلى السعادة في عينيه!

- لا يمكن تصور حياة من غير رغبة.
- لا تقتل البعوض ولكن خفف المستنقعات.
- ماذا يوجد أجمل من قوس قزح، لكن الإنسان الذي بداخله لا يراه.
- القراءة المبالغ بها لا تجعل منا أذكياء، بعض الناس يبتلعون الكتب وهم يفعلون ذلك بدون فاصل للتفكير الضروري، وهو ضروري لكي يهضم المقروء ويبني ويتبنى ويفهم.
- لا توجد حكمة بلا تجربة، ولكن الإنسان الذكي هو الذي يستعمل تجربة الغير والمجنون يستعمل تجربته الخاصة.
- ليسامحني الله إذا أخطات، ولكنني أقدر المسيحي الجيد أكثر من المسلم السيء.
- لا أستطيع أن أدافع عن شيء فقط لأنه يخص المسلمين، وليس من الإسلام أن أتجاهل شيء فقط لأنه يخص الآخرين.
- هدفنا هو أَسْلَمة المسلمين، و وسائلنا هي الإيمان والكفاح.

- التاريخ لا يمكن التنبؤ به، القائم على أحداث التاريخ هو الإنسان وهو مدفوع بالألم والمنفعة والمصلحة، لذلك لا يمكن التنبؤ بالتاريخ وهو يكذب باستمرار.
- عندما تتأخر المجتمعات المتحضرة فأنها لا تعود إلى الأشكال التقليدية وإنما تتوحش.
- إن الدين يغيّر الإنسان، وبذلك يغيّر العالم.
- المبدأ المتعارف عليه: من الأفضل أن يبقى مئة مذنب بلا عقاب على أن يُحاكم إنسان بريء.
- يمكن اعتبار الإسلام كـــهدف للإنسان للمحافظة على معاييره الإنسانية، لا أن يكون ملاكاً ولا أن يكون حيواناً.
- الإسلام "متخلف " ولكن بالمعنى الجميل للكلمة، الذي يعني قربه إلى الطبيعة والحياة والواقعية، وبعده عن التصنع والبهرجة، قد لا ينال على رضى الرومانسيين والشعراء، لكنه يأخذ بلباب روح وعقل اللذين يبحثون عن الجوهر.
- علينا أن لا ننسى أن محمداً ﷺ خاض معارك مع عبدة الأصنام، ولكنه تفاوض معهم أيضاً.
- أن تبدأ التفكير بذاتك كمسلم من أجل إنقاذ أقربائك وأمتك، فهذا يعني أنك أصبحت من أتباع تجديد الإسلام والثقافة الإسلامية.
- عندما لا يكتب شعب تاريخه الخاص، فسيفعل ذلك الآخرون، ولكن بطريقتهم الخاصة.
- المادية تؤكد دائمـــاً ما هو مُشترك بين الحيوان والإنســـان .. بينما يؤكد الدين على ما يُفرق بينهمـــا.
- إذا كان موسى أبو المادية .. وكان المسيح أبو الروحانيـــة .. فإن محمداً ﷺ أبو الإنسان.
- كلما نَمت معرفتنا عن العالم تزايد إدراكنـــا بأننـــا لا يمكن أن نكون أسيـــاد مصائرنـــا فنحن بين أن نكون متشـــائمين أو مُسَلمين لله.

- لا يعني التسليم لله نوع من الإتكالية .. فكل السلالات البطولية كانوا من المؤمنين بالقدر.
- الخوف بداية للأخلاق .. كما أن خوف الله بداية لحب الله.
- الحيوان بريء من الناحية الأخلاقية .. بينما الإنسان إما خيّر أو شرير لا يوجد إنسان بريء من الناحية الأخلاقية .. فمنذ اللحظة التي هبط فيها الإنسان من السماء لا يستطيع أن يكون حيوان بريء .. إنما اختياره الوحيد أن يكون إنساناً أو لا إنسان.
- القراءة المتأنية للأديان تُشعِر أن هناك اتفاقاً مُسبقاً تم في مكان ما بين موسى وعيسى ومحمد (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).
- في عام ١٩٩٧م تحدث للمؤتمر الإسلامي في طهران قائلاً:

الغرب ليس متعفناً، والإسلام هو الأفضل، هذا صحيح، ولكننا لسنا الأفضل، بدل أن نكره الغرب، دعونا ننافسه. دعونا نتحاور معه.

- لو لم يكن الليل لكنا عاجزين عن رؤية السماء ذات النجوم، وهكذا يجردّنا الضوء من بعض الرؤية، في حين أنّ العتمة والظلام يساعداننا على أن نرى شيئاً.
- القرآن الكريم يحتاج من المسلمين أن يقرأوه بعناية، وكل إنسان يجد في القرآن من المعاني بقدر منزلته وإيمانه، ونحن إذا أخذنا القرآن كاملاً سوف يعطينا الحق كاملاً.
- عندما أفقد أسباب العيش...سأموت
- لماذا لا يمكن ترك الوطن؟ لا يمكن لأنني لا أستطيع أن أحمل معي القبور.

قبور آبائنا وأجدادنا هي جذورنا! النبات المخلوع من جذوره لا يستطيع العيش. يجب علينا إذن أن نبقى هنا!

- لا كراهية لدي .. ولكن لدي مرارة.
- ليست القضية في احترام الحياة، وإنما في احترام الموت. هذان الأمران مترابطان. عدم احترام الموت نتيجة لعدم احترام الحياة.

- لا تهمني أفكارك وقناعاتك المذكورة، ولا نظرتك للعالم، ولا كيف تسمي كل ذلك...المهم هو كيف أنت؟ هل أنت إنسان جيد أم سيئ؟
- في زمن السجن لم ألاحظ لدى ذاتي هبوط الرغبة في الحياة، ولكنني كنت أجد نفسي غالباً أمسك بأمل كبير، وأن الموت ليس بعيداً. كانت هذه الفكرة تجلب لي الراحة، واحتفظت بها كسرٍ كبير.
- يمكن أن يبدو الأمر غريباً، لكن الشر هو الذي يعطي معنى لوجودنا. إذا لم يوجد الشر فلا وجود للخير. وإذا لم يوجد الخير والشر، فكل شيء ينحدر إلى اللاوجود.
- الأخلاق إذا كانت حقة فإنها ترتبط دائماً بالتضحية والمعاناة، وإلا فهي تمثيل ونفاق.
- هذا هو عصرنا، إنه صعب. ولكنه ممتع إلى ما لا نهاية، يمكننا أن نتحسر بأنه لم يكن سهلاً، ولكننا لم نمل منه، يمكنني أن أتحسر لأنني لن أعيش حتى أرى الخاتمة.

إنني أتحدث عن الموت، ربما لا تكون هناك خاتمة أو موت، قد تغلق عين ترى ذلك من حولها، ولكن الحياة ستستمر. ولادة جديدة، عيون جديدة تتفتح على غرار الأزهار، عقد جديد وهكذا بلا نهاية.

إلهي .. أنت كبير، وكبير هو العالم الذي خلقته.

قالوا عن عزت بيجوفيتش

- **الرئيس البوسني السابق سليمان تيهيتش:**

ـ إن علي عزت بيجوفيتش دخل التاريخ من أبوابه الواسعة، وهو شخصية تاريخية تركت بصماتها الواضحة على تاريخ البوسنة والهرسك وما حولها إضافة لإسهاماته الفكرية على صعيد حوار الحضارات، وقضايا الفكر الإسلامي، والديمقراطية والنضال من أجل الحق والعدالة والحرية والعمل الإنساني، وكان لتأسيسه حزب العمل دور كبير في استقلال البوسنة وقيادة شعبها في معركة البقاء وقيام الدولة.

ـ كما كنّا و إلى الآن، يجب أن نبقى أوفياء و موحدين، وبهذا فقط نحفظ العهد، ونعبر عن احترامنا للرئيس الراحل علي عزت بيجوفيتش، ولجميع شهدائنا ومقاتلينا البواسل..

- **رئيس العلماء في البوسنة الدكتور مصطفى تسيريتش:**

علي عزت بيجوفيتش كان رجلاً عظيماً، سنذكره باستمرار، ليس من أجله بل من أجلنا نحن، من أجل ماضينا ومستقبلنا، من أجل حقوقنا وحريتنا، من أجل ديننا ووطننا، حقنا في تذكر علي عزت هو حقنا في الحرية ...لأن علي عزت بيجوفيتش كان أكثر من رئيس للبوسنة والهرسك، لقد كان رمزاً لتصحيح مسارنا، ولبقائنا، ولذلك هو في الذاكرة دائماً.

- **"حارث سيلاجيتش" رئيس وزراء البوسنة سابقاً:**

كنت أسعد بلقائه والحديث معه سواء اتفقت معه في ذلك أم لا، وفي أثناء فترة عملي معه اكتشفت أن الرجل لا يحمل في صدره أي ضغينة لأحد ويحترم كل الآراء، لكنه في نفس الوقت يحيل الخلافات في وجهات النظر لآليات حلها أو الحسم فيها.

- **"حارث سيلاجيتش" الذي كان ضمن شهود الملحمة التي قادها علي عزت رحمه الله:**

عندما جاءه (الوسطاء الدوليون) ليخبروه-لعزت- بأن الصرب يحاصرون سراييفو وعليه النظر في الموضوع قال: " إنهم يريدون منا الاستسلام " وكان ردهم: " ليس لك

خيار "، فقال: " سنقاوم حتى آخر رجل وآخر رصاصة "، و لم يقبل علي عزت الخروج من سراييفو مع مقاتليه ليقيموا في بلد آخر يبعد عنه آلاف الأميال كما فعل البعض في تاريخنا الحديث. أو وقّع معاهدة خزي وعار مع العدو وهو يحتل مساحات شاسعة من أرضه.

ـ كان علي عزت يقاتل الفاشية سياسياً وفكرياً بشعارات الغرب الراسخة في تعاليم الإسلام "الحرية وحقوق الإنسان "، وكان يقوّي مقاتليه ضد الفاشية الصربية بجرعة إضافية هي: القتال والاستشهاد في سبيل لله . وما فعله علي عزت جعله يدخل التاريخ من أوسع أبوابه.

ـ رجل شجاع استطاع اتخاذ القرارات الحاسمة في وقت كانت الخيارات فيه صعبة وقاسية، وكان فيه عدد قليل من المجتمع الدولي في صف البوسنة، كان يدرك أهمية المقاتلين لذلك كانوا في مقدمة أولوياته.

ـ كان يتمتع برباطة جأش، وروح هادئة في أصعب الأوقات وأكثرها قتامة وتلك صفات القائد المؤمن على مر التاريخ.

- **شهادة للمفكر الأوربي المحايد (وود وورث كارلسن) عن كتاب الإسلام بين الشرق والغرب:**

إن تحليله للأوضاع الإنسانية مذهل، وقدرته التحليلية الكاسحة تعطي شعوراً متعاظماً بجمال الإسلام وعالميته.

- **وعندما تم سؤال "بكر" أحد أبناء بيجوفيتش عن الشيء الذي تعلمه من والده قال:**

إذا لم تستطع جعل العدو صديقاً فليس أقل من تخفيف عداوته لك، وهذا ما كان يفعله عندما كان يلتقي بقادة الفكر والسياسة في العالم، وقال: كل شيء يمت لوالدي رحمه الله لا يزال يعيش معي ما عدا جسده، وعندما توفي أحسست بأن شيئاً ما من كياني قد

فقدته، فقد كان يمثل جزءاً مهماً من حياتي فالوالد كان صديقاً لي بدون أعباء الصداقة، وكان يريد لي وللآخرين الخير أكثر من نفسه.

- يذكر الأستاذ **عبد الوهـــاب المسيري** أنه كان منبهراً جداً بكتاب الإسلام بين الشرق والغرب وحين جـــاء الأستاذ علي عزت إلى مصر أقـــام المسيري ندوة ثقـــافية على شرف الأستـــاذ علي عزت وبدأ المثقفين في توجيه الأسئلة للأستـــاذ فوجدوا أنفسهم أمام بحر من العلم واستيعاب الحضارات والثقافات والفلسفات.
- **المقرئ الإدريسي أبو زيد يرثي علي عزت:**

طبت حياً، وطبت ميتاً يا علي، يا عزة الإسلام يا بيجوفيتش.

الجوائز التي حصل عليها الرئيس علي عزت بيجوفيتش

- جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٩٩٣-١٩٩٤م.
- جائزة (مفكر العام) من مؤسسة علي وعثمان حافظ عام ١٩٩٦م.
- جائزة مولانا جلال الدين الرومي الدولية لخدمة الإسلام في تركيا.
- جائزة الدفاع عن الديموقراطية الدولية، من المركز الأمريكي للدفاع عن الديموقراطيات والحريات.
- جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم (رمضان ١٤٢٢هـ_ ٢٠٠١م)، تقديراً لجهوده في خدمة الإسلام والمسلمين.

متحف بيجوفيتش ..تاريخ نضالي حافل وإنجازات كبيرة

في التاسع عشر من تشرين الأول عام ٢٠٠٧م، افتتحت حكومة إقليم سراييفو متحف يحمل اسم الرئيس البوسني **علي عزت بيجوفيتش** (١٩٢٥م-٢٠٠٣م) وذلك في نفس اليوم الذي توفي فيه ولكن بعد أربع سنوات من ذلك التاريخ.

يقع المتحف ـالمكون من برجين صغيرينـ في منطقة كواتشي على بعد أمتار من ضريحه في مقبرة الشهداء.

يضم المتحف متعلقات الراحل ومقتنياته المرتبطة بنضاله الطويل ضد النظام الشمولي وأثناء الحرب، كتخليد لذكرى الرجل الذي يحتل مكانة خاصة في قلوب المسلمين البوسنيين.

وقالت المؤرخة بالمتحف **أديسة حاجي جولوفيتش:**

إن المتحف يهدف إلى تعريف الشعب البوسني والزوار بمكانة علي عزت وتاريخه السياسي الطويل وكفاحه من خلال مقتنياته الشخصية وحياته العملية، موضحة أن المتحف يتبع هيئة متحف سراييفو التي تتولى الإشراف عليه.

يضم البرج الأول مؤلفاته باللغة البوسنية وأخرى ترجمت إلى اللغة العربية بالإضافة إلى مؤلفات تناولت سيرته وفكره خطها كتّاب أجانب.

كما يحوي هذا البرج صوراً فوتوغرافية موثقة للحياة الخاصة للراحل مع زوجته وأسرته وزيارته لمدينة اسطنبول حينما كان شاباً يافعاً، وصوره مع رؤساء وملوك دول العالم أثناء توليه رئاسة البلاد التي امتدت بين عامي ١٩٩٠م و٢٠٠٠م، وأخرى من خنادق القتال وصوراً من جنازته يوم وفاته.

وتشمل المعروضات الأغراض الشخصية لعزت بيجوفيتش مثل بدلته العسكرية وقبعته التي كان يرتديها أثناء الحرب، وسرواله الجينز مع الجاكت ونظارته وساعته وحقيبته وقلمه وحذاءه.

هدايا الزعماء: ومن المقتنيات التي تلفت انتباه الزوار الهدايا التي حصل عليها من الملوك والرؤساء وتشمل: قلادة الاستقلال مهداة من أمير قطر، ولوحة من ياسر عرفات وأوسمة ونياشين وبندقية كلاشنكوف أهداها له عامل بوسني بسيط.

كما تضم المقتنيات جائزة الملك فيصل في خدمة الإسلام والمسلمين التي فاز بها في عام ١٩٩٤ م، وجائزة دبي الدولية للقرآن الكريم ليكون "الشخصية الإسلامية" للعام الهجري ١٤٢٢ الموافق ٢٠٠١ م باعتباره أحد المفكرين الذين أثروا الفكر الإسلامي بعدة مؤلفات منها: "البيان الإسلامي" و"عوائق النهضة الإسلامية" و"الإسلام بين الشرق والغرب" و"هروبي إلى الحرية".

ويفيد بيان صادر عن المتحف: بأن عملية البناء صممت بمواصفات هندسية عالمية حيث يرتبط البرجان بممر يبلغ طوله نحو خمسين متراً مزود بوسائل الأمان ولمبات الإنارة، بينما صممت أرضية البرج الثاني بالزجاج الخالص الذي وضعت أسفله رمال بيضاء غرست فيها بعض المقتنيات الخاصة بالراحل.

وبحسب أديسة جولوفيتش: فإن المتحف يشهد إقبالاً ممتازاً من السياح وسكان البلاد الأصليين الذين يفدون لمشاهدة المقتنيات من مختلف المدن البوسنية على مدار العام.

مؤتمر دولي في اسطنبول

حول علي عزت بيجوفيتش

يكال المديح لمن هم في السلطة، وقلّ أن يمدح من خرج من السلطة، إلا إذا كان ذلك من دواعي التكسب بمختلف أصنافه، ولكن المديح يكال لعلي عزت بعد رحيله دون أي معيار خارج إطار الاعتراف بجهود الرجل وتقدير خدماته وتضحياته من أجل مبادئه.

وبعد أربع سنوات على رحيله في عام ٢٠٠٣ م، احتفل بذكرى رحليه بعقد مؤتمر دولي في اسطنبول حول علي عزت بيجوفيتش رحمه الله.

ـ كما شهد مركب زاترا بكوشوفو في سراييفو، لقاءً أكاديمياً وسياسياً وشعبياً كبيراً في هذه المناسبة التي تساهم في تعريف الأجيال البوسنية خصوصاً والإسلامية عموماً بجهاد علي عزت رحمه الله.

وكان من أبرز الحضور نجله المهندس بكر علي عزت بيجوفيتش، والرئيس حارث سيلاجيتش، ونائب رئيس العلماء عصمت سباهيتش، ورئيس حزب العمل الذي أسسه عزت بيجوفيتش، سليمان تيهيتش، وعدد كبير من الوزراء والأكاديميين والسفراء والشباب وغيرهم.

وقد تم **عرض فيلمين وثائقيين** عن حياة علي عزت بيجوفيتش من الميلاد وحتى رحيله رحمه الله، حيث كانت حياته مليئة بمحطات النضال والتضحيات.

ـ في كل سنة يتم تنفيذ جملة من الفعاليات الدينية والثقافية والإدارية، حيث أطلق اسم علي عزت بيجوفيتش على عدد من الأماكن والساحات العامة.

هذا هو علي عزت بيجوفيتش

جمع بين قوة العقل وإشعاع الروح، بين المحارب حامي البلاد، والمفاوض

الشريف، الذي ارتفع فوق ركام كبير من الأحقاد، ومن ضعف النفوس، ومن قصور النظر،

ومن التاريخ البائس ليصنع لنا قدوة في زمن صعب.

كانت كتبه عالية القدر عميقة الفكر، وكان سلوكه وأعماله شاهداً صادقاً على أقواله.

وكان أنموذجاً للمثقف المعتدل الواعي الزعيم، ليس فقط بين المسلمين ولكن

بين زعماء العالم وثوّاره على مدار قرون بعيدة.

فقد حكم مثقفون كبار، ولكنهم أساءوا كثيراً، والنادر منهم من تحلى بصفات سامية

مالكوم إكس: MALCOM X

الرجل..... الذي مات واقفاً

شخص كرس حياته لخدمة الإسلام والمسلمين

كان من كبار الدعاة في أمريكا في الستينات من القرن الماضي.

بدأ حياته: لصاً، ثم متطرفاً، ثم مسلماً حقاً.

هو أكبر دعاة الحرية والمساواة

هو الرجل الذي مات واقفاً

إنه الداعية الإسلامي المشهور

"مالكوم إكس" أو "مالك شيباز"

الأمريكي الأصل والجنسية

الذي صحّح مسيرة الحركة الإسلامية التي انحرفت بقوّة عن

الحق في أمريكا

ودعا للعقيدة الصحيحة، وصبر على ذلك

حتى مات شهيدًا في سبيل دعوته ودفاعه عن الحق.

مالكوم إكس: MALCOM X

الولادة والنشأة:

ولد الحاج مالك الشيباز (مالكوم) في (٦ ذي القعدة ١٣٤٣هـ/ ٢٩أيار ١٩٢٥م)، في أوماها بولاية نبراسكا.

والده: كان **أبوه "أورلي ليتل"** قسيساً أسوداً من أتباع **"ماركوس كارفي"** الذي أنشأ جمعية بنيويورك ونادى بصفاء الجنس الأسود، وعودته إلى أرض أجداده في أفريقيا.

كان له ثمانية أولاد.

أنجبت له الزوجة الأولى: ولد وبنتان يعيشون في بوسطن، وهم أورلي وإيلا وماري.

تزوج من والدة مالكوم في فيلادلفيا حيث أنجبت له: ويلفريد ثم هيلدا وفيلبرت، ثم مالكوم في أوماها، ثم ولدت ريجينالد الذي أصيب في طفولته بمرض في الأمعاء لازمه طوال حياته.

كان مالكوم المولود السابع في الأسرة؛ فقد وضعته أمه وعمرها ثمانية وعشرون عاماً.

أمه: كانت من جزر الهند الغربية لكن لم تكن لها لهجة الزنوج.

كانت العنصرية في ذلك الوقت في الولايات المتحدة ما زالت على أشدها، وكان الزنجي الناجح في المدينة التي يعيش فيها مالكوم هو ماسح الأحذية أو البواب!!

كان أبوه حريصاً على اصطحابه معه إلى الكنيسة في مدينة "لانسينغ" حيث كانت تعيش أسرته على ما يجمعه الأب من الكنائس، وكان يحضر مع أبيه اجتماعاته السياسية في **"جمعية التقدم الزنجية"** التي تكثر خلالها الشعارات المعادية للبيض، وكان الأب يختم هذه الاجتماعات بقوله: **" إلى الأمام أيها الجنس الجبّار، بوسعك أن تحقق المعجزات "**.

كان أبوه يحبه للون بشرته الفاتح قليلاً عنه، أما أمه فكانت تقسو عليه لذات السبب، وتقول له: "اخرج إلى الشمس ودعها تمسح عنك هذا الشحوب".

الدراسة:

التحق مالكوم بالمدرسة وهو **في الخامسة** من عمره، وكانت تبعد عن مدينته ثمانية أميال، كان هو وعائلته الزنوج الوحيدين في المدينة؛ لذا كان البيض يطلقون عليه الزنجي أو الأسود، حتى ظن مالكوم أن هذه الصفات جزء من اسمه.

كان الفتى الصغير عندما يعود من مدرسته يصرخ مطالباً بالطعام، ويصرخ ليحصل على ما يريد، ويقول في ذلك:

" لقد تعلمت باكراً أن الحق لا يُعطى لمن يسكت عنه، وأن على المرء أن يحدث بعض الضجيج حتى يحصل على ما يريد ".

كانت حياة عائلة مالكوم عبارة عن سلسلة من النكبات:

فقد شهد الأب مقتل أربعة من أخوته الستة على يد العنصريين البيض، وتعرض لمضايقات و تهديدات منهم بسبب نشاطاته السياسية، فرحل إلى مدينة لانسينغ في ولاية ميشيغان في العام ١٩٢٨م، وبعد عدة شهور أُحرق منزل العائلة من قبل منظمة كوكلوكس كلان العنصرية، فرحلت العائلة من جديد إلى ضواحي مدينة لانسينغ.

وعندما بلغ مالكوم **سن السادسة** في العام ١٩٣١م قتل والد مالكوم بصورة وحشية على يد العنصريين البيض و لكن السلطات ادعت أنه مات دهساً! فكانت صدمة كبيرة للأسرة وبخاصة الأم التي أصبحت أرملة وهي في الرابعة والثلاثين من عمرها وتعول أطفالها، فترك بعض الأبناء دراستهم، وعملت الأم خادمة في بعض بيوت البيض، لكنها كانت تُطرد بعد فترة قصيرة لأسباب عنصرية.

وتردت أحوال الأسرة، وكانت الأم ترفض وتأبى أن تأخذ الصدقات من مكتب المساعدة الاجتماعية؛ حتى تحافظ على الشيء الوحيد الذي تمتلكه وهو كرامتها، غير أن قسوة الفقر سنة ١٩٣٤م جعلت مكتب المساعدة يتدخل في حياتها، وكان الموظف الأبيض فيه يحرّض الأبناء على أمهم التي تدهورت حالتها النفسية وأصيبت بمرض عقلي سنة

١٩٣٧م، وأودعت في المستشفى لمدة ٢٦ عاماً. وأصبح الأطفال السود أطفال الدولة البيضاء، وتحكّم الأبيض بالأسود بمقتضى القانون.

كان مالكوم شاباً يافعاً قوي البنية، وكانت نظرات البيض المعجَبة بقوته تشعره بأنه ليس إنساناً بل حيواناً لا شعور له ولا إدراك، وكان بعض البيض يعاملونه معاملة حسنة، غير أن ذلك لم يكن كافياً للقضاء على بذور الكراهية والعنصرية في نفس الشاب الصغير؛ لذلك يقول: **"إن حسن المعاملة لا تعني شيئاً ما دام الرجل الأبيض لن ينظر إليّ كما ينظر لنفسه، وعندما تتوغل في أعماق نفسه تجد أنه ما زال مقتنعاً بأنه أفضل مني".**

تردت أخلاق مالكوم، وعاش حياة التسكع والتطفل والسرقة؛ ولذلك فُصل من المدرسة وهو في سن السادسة عشرة، ثم أُلحق بسجن الأحداث.

وتردد مالكوم على المدرسة الثانوية وهو في سجن الإصلاح، وكانت صفة الزنجي تلاحقه كظله، وشارك في الأنشطة الثقافية والرياضية بالمدرسة، وكانت صيحات الجمهور في الملعب له: **"يا زنجي يا صدئ"** ، وهذه العبارات كانت تلاحقه في الأنشطة المختلفة.

أظهر مالكوم تفوقاً واضحاً بين زملائه في اللغة الإنجليزية والتاريخ.

وفي نهاية المرحلة الثانوية طلب **مستر "ستراوسكي"** من طلابه أن يتحدثوا عن أمنياتهم في المستقبل، وتمنى مالكوم أن يصبح محامياً، غير أن ستراوسكي قال له ناصحاً:

لا تسيء فهمي نحن نحبك، و لكنك تحلم بالمستحيل. يجب أن تفهم أنك زنجي و أن المحاماة مهنة غير واقعية بالنسبة لك، و لكن فكر بأن تصبح نجاراً ..) !!

كانت كلمات الأستاذ ذات مرارة وقسوة على وجدان الشاب؛ لأن الأستاذ شجّع جميع الطلاب على ما تمنوه إلا صاحب اللون الأسود.

السجـــن ونقـــطـــة التحـــــول:

بعد أن أنهى مالكوم المرحلة الثانوية وفي عام ١٩٤٠م رحل مالكوم إلى أقاربه في بوسطن، وتعرف هناك على مجتمعات السود، ورأى أحوالهم الجيدة نسبياً هناك، وأخذته الحياة في مجرى جديد، وأصيب بنوع من الانبهار في المدينة الجميلة، وهناك انغمس في حياة اللهو

والجون، وسعى للتخلص من مظهره القوي، وتحمل آلام تغيير تسريحة شعره حتى يصبح ناعماً، وأدرك أن السود لو أنفقوا من الوقت في تنمية عقولهم ما ينفقونه في تليين شعورهم لتغير حالهم إلى الأفضل.

ثم انتقل إلى نيويورك للعمل فيها بالسكك الحديدية، وكان عمره واحداً وعشرين عاماً، وكانت نيويورك بالنسبة له جنة، وتنقّل بين عدة أعمال منها: أنه عمل بائعاً متجولاً، وتعلم البند الأول في هذه المهنة وهو ألا يثق بأحد إلا بعد التأكد الشديد منه.

وعاش فترة الحرب العالمية الثانية، وشاهد ما ولّدته الحرب من فساد خلقي واجتماعي وانغمس هو نفسه في هذا الفساد، وغاص في أنواع الجرائم المختلفة من سرقة ودعارة وفجور، وعاش خمس سنوات في ظلام دامس وغفلة شديدة، وفي أثناء تلك الفترة أُعفي من الخدمة العسكرية؛ لأنه صرح من قبيل الخديعة أنه يريد إنشاء جيش زنجي.

وفي بداية الحرب ألقت الشرطة القبض عليه وحكم عليه سنة ١٩٤٦م بالسجن عشر سنوات.

كان مالكوم عنيداً يسبّ حرّاسه حتى يحبس حبساً انفرادياً، وتعلم من الحبس الانفرادي أن يكون ذا إرادة قوية يستطيع من خلالها التخلي عن كثير من عاداته.

وفي عام ١٩٤٧م تأثر بأحد السجناء ويدعى "**بيمبي**" الذي كان يتكلم عن الدين والعدل فزعزع بكلامه ذلك الكفر والشك من نفس مالكوم، وكان بيمبي يقول للسجناء: " إن الذين خارج السجن ليسوا بأفضل منهم، وأن الفارق بينهم وبين من في الخارج أنهم لم يقعوا في يد العدالة بعد".

ونصحه بيمبي أن يتعلم، فتردد مالكوم على مكتبة السجن وتعلم اللاتينية.

وفي عام ١٩٤٨م انتقل إلى سجن كونكورد، وكتب إليه **أخوه "فيلبيرت"** أنه اهتدى إلى الدين الطبيعي للرجل الأسود، ونصحه ألا يدخن وألا يأكل لحم الخنزير، وامتثل مالكوم لنصح أخيه، ثم علم أن إخوته جميعاً في دترويت وشيكاغو قد اهتدوا إلى الإسلام، وأنهم يتمنون أن يسلم مثلهم، ووجد في نفسه استعداداً فطرياً للإسلام، ثم انتقل مالكوم إلى

سجن "ينورفولك"، وهو سجن مخفف في عقوباته، ويقع في الريف، ويحاضر فيه بعض أساتذة الجامعة من هارفارد وبوسطن، وفيه مكتبة ضخمة تحوي عشرة آلاف مجلد قديم ونادر.

وفي هذا السجن زاره أخوه **ويجالند** الذي انضم إلى **حركة " أمة الإسلام "** بزعامة **"أليجا محمد"**[1]، التي تنادي بأفكار عنصرية منها أن الإسلام دين للسود، وأن الشيطان أبيض

---

(١)العقيدة الأليجية و أليجا محمد:

هي عقيدة إحدى الفرق الباطنية السائدة في الولايات المتحدة الأمريكية التي مازالت تتبع منهج أليجا محمد، ولد مؤسسها **لويس والكت** لعائلة تشتغل بالتمثيل والغناء، وأصولها من جزر البحر الكاريبي. ادعى أليجا محمد النبوة وأن معلمه **فارد محمد** هو الله المتجسد. وأعلن أن الإله ليس شيئاً غيبياً، بل يجب أن يكون متجسداً في شخص، وهو جدير بالدعاء والعبادة. وقد أدخل بذلك مفاهيم باطنية على فكر جماعته.

اتخذ لنفسه مقام النبوَّة، وصار يتصف بلقب رسول الله:.Messenger of Allah ، حرّم على أتباعه القمار وشرب الخمور والتدخين والإفراط في الطعام والزنى، ومنع اختلاط المرأة برجل أجنبي عنها، وحثهم على الزواج داخل أبناء وبنات الحركة ومنعهم من ارتياد أماكن اللهو والمقاهي العامة.

الاكتتاب في الحركة مقصور على السود دون البيض بشكل قطعي لا مجال لمناقشته إطلاقاً.

لا يؤمن أليجا محمد إلا بما يخضع للحس، وعليه فإنه لا يؤمن بالملائكة ولا يؤمن كذلك بالبعث الجسماني إذ أن البعث لديه ليس أكثر من بعث عقلي للسود الأمريكيين.

لا يؤمن بختم الرسالة عند النبي محمد ﷺ، ويعلن أنه هو خاتم الرسل إذ ما من رسول إلا ويأتي بلسان قومه وهو أي ـــ أليجا محمد ـــ قد جاء نبياً يوحى إليه بلسان قومه السود.

يؤمن بالكتب السماوية، لكنه يؤمن بأن كتاباً خاصاً سوف يترل على قومه السود والذي سيكون بذلك الكتاب السماوي الأخير للبشرية.

الصلاة على عهده عبارة عن قراءة للفاتحة أو آيات أخرى ودعاء مأثور مع التوجه نحو مكة واستحضار صورة فارد في الأذهان، وهي خمس مرات في اليوم.

يدفع كل عضو عُشْر دخله للحركة.

ألّف عدداً من الكتب التي تبين أفكاره، منها:

ـــ رسالة إلى الرجل الأسود في أمريكا:.Message to the Black Man

ـــ منقذنا قد وصل: .Our Saviour has arrived

وبعد وفاة أليجا محمد تغيرت أفكار الحركة، وتولى والاس بن أليجا محمد رئاسة الحركة، وتسمّى بوارث الدين محمد، وقام بتصحيح أفكار الحركة وعاد بها إلى الطريق المستقيم الحق، وغيَّر اسمها إلى **"البلاليين"** نسبة إلى بلال بن رباحﷺ.

والملاك أسود، وأن المسيحية هي دين للبيض، وأن الزنجي تعلم من المسيحية أن يكره نفسه؛ لأنه تعلم منها أن يكره كل ما هو أسود.

أسلم مالكوم على هذه الأفكار، واتجه في سجنه إلى القراءة الشديدة والمتعمقة، وانقطعت شهيته عن الطعام والشراب، وحاول أن يصل إلى الحقيقة، وكان سبيله الأول هو الاعتراف بالذنب، ورأى أنه على قدر زلته تكون توبته.

راسل مالكوم "أليجا محمد" الذي كان يعتبر نفسه رسولاً، وتأثر بأفكاره، وكانت نقطة تحول في حياته حيث تاب عن حياة الإجرام وتوقف عن تناول المخدرات وشرب الكحول وحتى التدخين، حيث حرّمت هذه الأشياء على أعضاء أمة الإسلام، وقام بتعليم وتثقيف نفسه عبر القراءة المستمرة والمناظرة وأخذ بعض الدورات التي وفّرها السجن للسجناء.

بدأ مالكوم يراسل كل أصدقائه القدامى في الإجرام ليدعوهم إلى الإسلام، وفي أثناء ذلك بدأ في تثقيف نفسه فبدأ يحاكي صديقه القديم "بيمبي"، ثم حفظ المعجم فتحسنت ثقافته، وبدا السجن له كأنه واحة، أو مرحلة اعتكاف علمي، وانفتحت بصيرته على عالم جديد، فكان **يقرأ في اليوم خمس عشرة ساعة**، وعندما تُطفأ أنوار السجن في العاشرة مساءً كان يقرأ على ضوء المصباح الذي في الممر، حتى الصباح فقرأ قصة الحضارة، وتاريخ العالم، وما كتبه الأسترالي ماندیل في علم الوراثة، وتأثر بكلامه في أن أصل لون الإنسان كان أسود، وقرأ عن معاناة السود والعبيد والهنود من الرجل الأبيض وتجارة الرقيق، وخرج بآراء تتفق مع آراء أليجا محمد: في أن البيض عاملوا غيرهم من الشعوب معاملة الشيطان.

وقرأ أيضاً لمعظم فلاسفة الشرق والغرب، وغيّرت القراءة مجرى حياته، وكان هدفه منها أن يحيا فكرياً؛ لأنه أدرك أن الأسود في أمريكا يعيش أصم أبكم أعمى، ودخل في السجن في مناظرات أكسبته خبرة في مخاطبة الجماهير والقدرة على الجدل، وبدأ يدعو غيره من السجناء السود إلى حركة "أمة الإسلام" فاشتهر أمره بين السجناء.

من مالكوم ليتل إلى مالكوم إكس:

قرر مالكوم أن يكرس حياته لخدمة أليجا محمد وأمة الإسلام، ورمز إلى هذا التحول بتغيير اسمه من مالكوم ليتل إلى **مالكوم إكس** باعتبار أن اسم العائلات التي يحملها السود إنما هي أسماء عائلات ملاك العبيد من البيض في الماضي، وكان الحرف إكس يرمز لضياع وعدم معرفة كنيته الأفريقية الأصلية ومثلـــــه فعل جميع من اعتنق دعوة أمة الإسلام.

الخروج من السجـــــن وبداية العمل الدعوي:

خرج مالكوم من السجن سنة ١٩٥٢م وهو ينوي أن يعمق معرفته بتعاليم أليجا محمد، وذهب إلى أخيه في دترويت، وهناك تعلم الفاتحة وذهب إلى المسجد، وتأثر بأخلاق المسلمين، وفي المسجد استرعت انتباهه عبارتان، الأولى تقول:

"إسلام: حرية، عدالة، مساواة"، والأخرى مكتوبة على العلم الأمريكي، وهي: "عبودية: ألم، موت".

والتقى بأليجا محمد، وانضم إلى حركة أمة الإسلام.

كان مالكوم شغوفاً جداً لمعرفة المزيد عن الإسلام، وقد كان حماسه دافعاً للمزيد من التعلم والقراءة والكتابة إلى أن أصبح مثقفاً يقرأ ولا يمل.

وبدأ يدعو الشباب الأسود في البارات وأماكن الفاحشة إلى هذه الحركة فتأثر به كثيرون؛ لأنه كان خطيباً مفوهاً ذا حماس شديد، فذاع صيته حتى أصبح في فترة وجيزة إماماً ثابتاً في مسجد دترويت، وأصبح صوته مبحوحاً من كثرة خطبه في المسجد والدعوة إلى "أمة الإسلام"، وكان في دعوته يميل إلى الصراع والتحدي؛ لأن ذلك ينسجم مع طبعه.

وعمل في شركة "فورد" للسيارات فترة ثم تركها، وأصبح رجل دين، وامتاز بأنه يخاطب الناس باللغة التي يفهمونها؛ فاهتدى على يديه كثير من السود، وزار عدداً من المدن الكبرى، وكان همه الأول هو "أمة الإسلام"؛ فكان لا يقوم بعمل حتى يقدّر عواقبه على هذه الحركة.

واستطاع مالكوم بفترة وجيزة أن يصبح أشهر دعاة "أمة الإسلام" وذلك بفضل نشاطه وشخصيته القوية وقدراته الخطابية ووفائه المخلص لأليجا محمد، وساهم في إنشاء العديد من مساجد المنظمة في مختلف مدن الولايات المتحدة.

ومع تطور أمة الإسلام وانتشار دعوتها بين السود أصبحت المنظمة ملفتة للأنظار على مستوى منظمات "الحقوق المدنية"، أي المنظمات المكافحة من أجل حقوق السود في الولايات المتحدة، خاصة أن فلسفتها اختلفت بل تناقضت مع الفلسفة السائدة بين أغلبية هذه منظمات وقادتها البارزين مثل **مارتن لوثر كنج**[1]، حيث أيدت أمة الإسلام الانفصال عن البيض عن طريق قيام دولة خاصة للسود في أمريكا بدل من إلغاء الفصل العنصري وانضمام السود إلى المجتمع الأمريكي، كما رأت أنه لا بأس باستعمال الكفاح المسلح كوسيلة لتحرير السود بجانب العصيان المدني، وأثارت القلق لدى الأمريكان البيض حكومةً وشعباً عندما قامت بتدريب ميليشيا سميت"**بثمرة الإسلام**"(**Fruit ofIslam**).

بدأ ظهور مالكوم في وسائل الإعلام الأمريكية كمتحدث باسم حركة "أمة الإسلام"، فظهر في برنامج بعنوان: "الكراهية التي ولدتها الكراهية"، وأصبح نجماً إعلامياً انهالت عليه المكالمات التليفونية، وكتبت عنه الصحافة، وشارك في كثير من المناظرات التلفزيونية والإذاعية والصحفية؛ فبدأت السلطات الأمنية تراقبه، خاصة بعد عام١٩٦١م. بدأت في تلك الفترة موجة تعلُّم اللغة العربية بين أمة الإسلام؛ لأنها اللغة الأصلية للرجل الأسود.

---

(١) ولد مارتن لوثر كينج في الخامس عشر من كانون الثاني١٩٢٩م وتم اغتياله في الرابع عشر من نيسان ١٩٦٨ وما بين الميلاد والوفاة حياة حافلة قضاها لوثر مجاهداً ومدافعاً عن حقوق الأفارقة في الولايات المتحدة الأمريكية. ولد لوثر بمدينة أتلانتا بولاية جورجيا الأمريكية وتمتد جذوره إلى القارة الإفريقية، عمل والده راعياً في الكنيسة المعمدانية بأتلانتا، وكان أحد المشاركين في حركة نضال الأفارقة للدفاع عن حقوقهم، وحقوق الأقليات، هذا الأب أكمل مسيرته الابن بعد ذلك فظل مارتن يجاهد حتى أخر حياته من أجل تحقيق المساواة والدفاع عن حقوقه وحقوق غيره من الأفارقة والأقليات. في عام ١٩٦٤ م حصل على جائزة نوبل للسلام، وكان أصغر من يحوز عليها. اغتيل في الرابع من نيسان عام ١٩٦٨، ويعد يوم الاثنين الثالث من كل شهر كانون الثاني (تقريباً موعد ولادته) عطلة رسمية في الولايات المتحدة الأمريكية اعتبر مارتن لوثر كنج من أهم الشخصيات التي دعت إلى الحرية وحقوق الإنسان.

توسَّم أليجا محمد في مالكوم إكس النباهة والثورية والقدرة الإقناعية؛ فضمَّه لمجلس إدارة الحركة، وجعله إمامًا لمسجد رقم ٧ في نيويورك.

أبدى مالكوم كفاءة دعوية فائقة وزار الجامعات والحدائق والسجون وأماكن تجمُّع الناس، وأسلم على يديه الكثيرون، منهم الملاكم العالمي "كاسيوس كلاي" الذي عرف فيما بعد **بمحمد علي كلاي**، وفتحت له قنوات التلفاز أبوابها، وعقد المناظرات على الهواء، وذاع صيته بقوَّة.

وفي ظل هذه التطورات أصبح مالكوم شخصية معروفة على مستوى الولايات المتحدة بل على المستوى الدولي أيضاً، وقام بزيارات للكثير من الدول والتقى بالعديد من الرؤساء منهم على سبيل المثال الرئيس المصري جمال عبد الناصر، والجدير بالذكر أنه كان "المستشار الروحاني" للملاكم الشهير محمد علي كلاي الذي كان قد انضم إلى منظمة أمة الإسلام.

كان له الفضل إلى حد كبير في زيادة عدد أعضاء جماعة أمة الإسلام؛ كان عددهم في عام ١٩٥٢م: (٥٠٠) عضو، ثم ١٢٠٠في عام١٩٥٣م، وبلغ عددهم في عام ١٩٦١م (٥٠٠٠٠) ، وفي عام ١٩٦٣م بلغ عددهم (٧٠٠٠٠) عضو.

الزواج والأسرة:

التقى مالكوم إكس **بالفتاة بيتي ساندرز** في عام ١٩٥٥م. وقد دعاها للاستماع إلى محاضرته، وكانت معجبة به جداً.

والتقيا مرة أخرى في حفل عشاء. وكانت بيتي ساندرز تحضر كل محاضرات مالكوم إكس في المسجد رقم (٧).

انضمت بيتي إلى أمة الإسلام في منتصف عام ١٩٥٦م.

في ١٢ كانون الثاني ١٩٥٨م، دعاها وطلب منها أن تتزوجه، فوافقت وكان زواجهما بعد ذلك بيومين في لانسينغ بولاية ميشيغان.

رزق الزوجان بثلاث بنات. سمَّى الأولى عتيلة، على اسم القائد الذي نهب روما.

وفي ليلة عيد الميلاد من عام ١٩٦٠ م رزقه الله عزوجل البنت الثانية وسماها قُبيلة على اسم قبيلة خان، وفي تموز من عام ١٩٦٢م رزق ابنة ثالثة وسماها إلياسة وهي مؤنث إلياس.

لقاؤه بالشخصيات العالمية:

في أيلول ١٩٦٠م، وصل فيدل كاسترو إلى نيويورك لحضور اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة . وبقي الوفد المرافق له في فندق تيريزا في هارلم.

كان مالكوم إكس عضواً بارزاً في لجنة هارلم التي تتكون من قادة المجتمع والذين اجتمعوا مع كاسترو.

أعجب كاسترو بمالكوم إكس وطلب لقاء خاص معه، واستمر اللقاء مدة ساعتين، وفي نهاية الاجتماع دعا كاسترو مالكوم إكس لزيارته في كوبا. كما دعي مالكوم إكس لكثير من الوظائف الرسمية التي ترعاها سفارة الأمم الأفريقية.

كما التقى الكثير من رؤساء الدول والقادة، بما في ذلك جمال عبد الناصر من مصر، أحمد سيكوتوري من غينيا، وكينيث كاوندا في زامبيا في المؤتمر الوطني الأفريقي .

مالكوم وأفريقيا:

زار مالكوم إكس أفريقيا في ثلاث مناسبات منفصلة، مرة واحدة في ١٩٥٩م ومرتين في ١٩٦٤م.

خلال زيارته التقى المسؤولين وأجرى مقابلات في الصحف، وتحدث في التلفزيون والإذاعة في مصر، وإثيوبيا، وتنجانيقا (حاليا تنزانيا)، ونيجيريا، وغينيا، والسودان، والسنغال، وليبيريا، والجزائر، و المغرب، وكوامي نكروما في غانا.

الانفصـــــــال عن أمة الإسلامNation of Islam :

كانت دعوة مالكوم في تلك الفترة تنادي بأن للإنسان الأسود حقوقاً إنسانية قبل حقوقه المدنية، وأن الأسود يريد أن يكرم كبني آدم، وألا يعزل في أحياء حقيرة كالحيوانات وألا يعيش متخفياً بين الناس.

وفي مطلع الستينيات في القرن العشرين، اختلطت الأمور على مالكوم نتيجة الشائعات القائلة أن الأب الروحي لأمة الإسلام " أليجا محمد" منغمس بعلاقات غير شرعية وبُعد الأمة عن حركة الحقوق المدنية.

وبالرغم من تبني أمة الإسلام موقف معاد للبيض، إلا أن الأمة لم تمارس أي من النشاطات في الجنوب الأمريكي حيث العنصرية على أوجها تجاه السود.

تنامت الفرقة بين مالكوم و الأب الروحي للأمة عندما اتضح أن أليجا محمد فعلاً منغمس بعلاقات غير شرعية وقد أصبح أليجا أباً لثمانية أبناء غير شرعيين.

ولما قُتل الرئيس الأمريكي جون كينيدي، أصدر أليجا محمد أوامر لجميع الأئمة بعدم التعليق على مقتل الرئيس الأميركي جون، ولكن مالكوم صرّح بأن سلاح كينيدي قد أرتد إلى نحره و حصد ما زرعه و بأسرع مما توقع هو نفسه. حيث قال مالكوم:

حين تخرج الدجاج من الحظيرة التي يسكن فيها فرجوعه إلى الحظيرة بعد انقضاء الوقت هو الأمر الطبيعـــــــي، والعنف والحروب التي مارسناها في الدول الأخرى هي التي عادت علينا بهذه الجرائم، فبالتالي ارتجاع العنف إلينا كرجوع الدجاج إلى حظيرته وهذا لا يزعجني بل يسعدني في الواقع.

أمر أليجا مالكوم بعدم التحدث بالمؤتمرات العامة بعدما وصف مالكوم حادثة اغتيال الرئيس كندي وصفاً لاذعاً، خصوصاً أن الرئيس الراحل كان محبوباً من قبل السود لتعاطفه معهم. وألزمه الصمت لمدة تسعين يوماً، و لم يحضر المؤتمر السنوي لحركة أمة الإسلام.

صدم مالكوم إكس في قدوته، كان لخيانة أليجا محمد له الأثر الكبير على نفس مالكوم الذي كان ينظر لهذا الرجل على أنه نبي الله والمعصوم عن الخطأ، لكن اكتشف عنه العديد من الحقائق المؤلمة، و لم يتوقع أن يجزيه هذا الجزاء بعد أن كرس حياته لخدمة هذا الرجل ودعوته، وبعد أن رأى في أمة الإسلام التي حولته من مجرم ومدمن مخدرات إلى شخصية ذات قوة وشأن السبيل الأوحد لتخليص شعبه من الظلم والاضطهاد.

الحـــــج والاهتداء للإسلام الصحيح:

أدرك مالكوم أن الإسلام هو الذي أعطاه الأجنحة التي يحلق بها، فقرر أن يطير لأداء فريضة الحج في عام ١٩٦٤م، وزار العالم الإسلامي ورأى أن الطائرة التي أقلعت به من القاهرة للحج فيها ألوان مختلفة من الحجيج، وأن الإسلام ليس دين الرجل الأسود فقط، بل هو دين الإنسان. وتعلم الصلاة، وتعجب من نفسه كيف يكون زعيماً ورجل دين مسلم في حركة أمة الإسلام، ولا يعرف كيف يصلي.!!

وفي هذه الزيارة قابل العديد من العلماء بالسعودية حتى أنه قابل **الملك فيصل** رحمه الله الذي قال له: إن حركة أمة الإسلام فيها الكثير من الأخطاء التي تتعارض مع الإسلام.

وقابل **عبد الرحمن عزام** صهر الملك فيصل ومستشاره، وسافر إلى مصر والسودان والحجاز والتقى مع علمائها وقابل شيخ الأزهر ومفتي مصر حسنين مخلوف رحمه الله.

تأثر مالكوم بمشهد الكعبة المشرفة وأصوات التلبية، وبساطة وإخاء المسلمين، ويقول في ذلك:

"في حياتي لم أشهد أصدق من هذا الإخاء بين أناس من جميع الألوان والأجناس، إن أمريكا في حاجة إلى فهم الإسلام؛ لأنه الدين الوحيد الذي يملك حل مشكلة العنصرية فيها".

وقضى ١٢ يوماً جالساً مع المسلمين في الحج، ورأى بعضهم شديدي البياض زرق العيون، لكنهم مسلمون، ورأى أن الناس متساوون أمام الله بعيداً عن سرطان العنصرية.

غادر مالكوم جدة في نيسان ١٩٦٤م، وزار عدداً من الدول العربية والأفريقية، رأى مالكوم في أسبوعين ما لم يره في ٣٩ عاماً، وخرج بمعادلة صحيحة هي:

"إدانة كل البيض = إدانة كل السود".

صاغ بعد عودته أفكاراً جديدة تدعو إلى الإسلام الصحيح، الإسلام اللاعنصري، وأخذ يدعو إليه، ونادى بأخوة بني الإنسان بغض النظر عن اللون، ودعا إلى التعايش بين البيض والسود، وأسس **منظمة الإتحاد الأفريقي الأمريكي**، وكانت أفكاره الجديدة تتعارض مع

أفكار بعض الجماعات لذلك هاجموه وحاربوه، وأحجمت الصحف الأمريكية عن نشر أي شيء عن هذا الاتجاه الجديد، واتهموه بتحريض السود على العصيان، إذ قال:

"عندما تكون عوامل الانفجار الاجتماعي موجودة لا تحتاج الجماهير لمن يحرضها، وأن عبادة الإله الواحد ستقرب الناس من السلام الذي يتكلم الناس عنه ولا يفعلون شيئاً".

وغيّر مالكوم اسمه: إلى الحاج مالك الشيباز.

تطور الفكر عند مالكوم إكس:

أكثر ما يثير في فكر مالكوم إكس هو التطور السريع و التجدد و الاستفادة من التجارب، ولا سيما أثناء الرحلة التي قام فيها بأداء فريضة الحج، لقد شكلت هذه الرحلة علامة فارقة في تطوير أفكاره، وكثيراً ما كان يتحدث عنها وعما تعلمه منها. فهو يقول في رسالة بعثها إلى زوجته أثناء أدائه فريضة الحج، في ٢٠ نيسان ١٩٦٤م:

رسالة من جدة

لم أشهد في حياتي ضيافة كريمة وروحاً غامرة بالأخوة الحقة كاللتين شاهدتهما من أناس من شتى الألوان والأعراق في هذه الأرض العريقة المقدسة، وطن إبراهيم و محمد وكل أنبياء الكتب المقدسة الآخرين.

فقد كنت خلال الأسبوع الماضي مفتوناً وعاجزاً عن التعبير عما رأيته من كرم يعرضه الناس من حولي على اختلاف ألوانهم.

كان هناك عشرات الآلاف من الحجاج من جميع أنحاء العالم، وكانوا من شتى الألوان، من الشقر ذوي العيون الزرق، إلى الأفارقة السود البشرة. ولكنهم كانوا جميعاً يمارسون الطقوس الروحية ذاتها، وكانوا يكشفون عن روح من الوحدة و الأخوة التي قادتني خبرتي في أميركا إلى الاعتقاد باستحالة وجودها بين البيض وغير البيض.

إن أميركا لفي حاجة إلى فهم الإسلام، لأن هذا هو الدين الوحيد الذي يمحو مشكلة العرق من مجتمعها.

أثناء رحلاتي في العالم الإسلامي التقيت وتحدثت، بل وأكلت مع أناس كانوا سيعتبرون "بيضاً" في أميركا.

ولكن دين الإسلام في قلوبهم أزال "البياض " من عقولهم، فراحوا يمارسون أخوة حقيقية و صادقة مع الناس الآخرين أياً يكن لونهم.

إن الإسلام الحقيقي يزيل العنصرية، لأن الناس من شتى الألوان و الأعراق، الذين قبلوا مبادئه الدينية ويعبدون إلهاً واحداً هو الله عز وجل، يقبلون أيضاً وتلقائياً واحدهم الآخر بوصفهم إخوة و أخوات بغض النظر عن اختلافهم في المظهر.

قد تصعقين حين تسمعين كلامي هذا، ولكنني كنت على الدوام رجلاً يحاول مواجهة الحقائق، وتقبل واقع الحياة كما تكشف عنه المعارف و الخبرات الجديدة. ولقد علمتني تجربة الحج هذه الشيء الكثير، وكل ساعة أقضيها في الأرض المقدسة تفتح عيني أكثر فأكثر.

وإذا تمكن الإسلام من غرس روح الأخوة الحقة في قلوب " البيض" الذين قابلتهم هنا في أرض الأنبياء، فمن المؤكد أن باستطاعته أن يمحو سرطان العنصرية من قلوب الأميركيين البيض.

الحاج مالك الشيبـــاز بين الخيـــــانة والوفـــــاء:

بعد أن رجع مالكوم من رحلته إلى الولايات المتحدة وبدأ يدعو إلى الإسلام الصحيح، اقتنع الكثيرون واتبعه الآلاف، ولاحظ مالكوم أن هذا كان سبباً لتنامي العداء بينه وبين أمة الإسلام أي جماعة أليجا محمد التي انفصل عنها.

وبدأت التهديدات التليفونيـــة بقتل مالكوم تصل لهاتفه يومياً وعشرات المرات مما أصاب زوجته بالخوف الشديد على حياة مالكوم وأثار الفزع بين أطفاله.

وفي يوم ما طلب رجل مقابلة مالكوم وقال له: إن جماعة أليجا محمد قررت قتله وأنهم كلفوه بمهمة وضع قنبلة في سيارته بحيث تنفجر به عندما يشغّل السيارة، لكنـــه لم يستطع تنفيـــذ المهمة لحبه لمالكوم ولعلمه أنه مع الحق، شكر مالكوم الرجل لتعريض

حياته للخطر من أجله. فبما أنه أخبر مالكوم فهو قد أصبح عدواً لجماعة أليجا محمد. ومما أسعد مالكوم أكثر أنه لم يكن له سابق معرفة بالرجل الذي أخبره وعرض حياته للخطر من أجله.

استشهـــــــاد الداعيـــــــة:

بتنامي الخلافات بين مالكوم وأمة الإسلام، قامت أمة الإسلام بإعطاء أوامرها بالتخلص من مالكوم نهائياً.

وفي يوم١٤ شباط ١٩٦٥م قامت مجموعة بإضرام النيران في بيت مالكوم إلا أن النجاة قد كتبت لمالكوم وعائلته من النيران.

تذكر مالكوم عند الحريق كيف أن هذا المشهد تكرر معه.

فعندما كان صغيراً قام العنصريون البيض بمحاولة إحراق بيتهم بنفس الطريقة لكن أباه كان حاضراً وتصدى لهم بطلقات بندقيته.

كان هذا من العنصريين البيض، لكنه اليوم من أبناء جلدته، علم مالكوم حينها أن لون الجلد وحده لا يوحد المواقف.

ولاحظ مالكوم أنه في أغلب محاضراته كان هناك اثنين من جماعة أليجا محمد حاضرين دائماً، وحاولا إثارة الشغب أكثر من مرة.

وفي ٢٥ شباط ١٩٦٥ م وفي قاعة المؤتمرات في مدينة نيويورك، عندما كان مالكوم يلقي خطاباً في القاعة، حدثت أعمال شغب مفتعله في القاعة. وفي وسطها تقدم رجل يحمل بندقية مدفعية وأطلق النار على مالكوم وأصابه في صدره، قام حراس مالكوم وأصدقائه بإصابة الرجل الذي أطلق النار على مالكوم، وانشغلوا به وحينها تقدم رجلان من الجالسين في الصفوف الأمامية، وأمطرا مالكوم بوابل من النيـــــران اخترق جميع أجزاء جسمه ومزق ثيابه وسالت دماء مالكوم في قاعة المؤتمرات.

واستشهد الداعية...

عشرون ألف تجمعوا لأجل مالكوم بعد الاغتيال...

حتى غير المسلمين اقفلوا البارات والملاهي لأجل مالكوم....

قامت شرطة نيويورك بالقبض على مرتكبي الجريمة، واعترفوا بأنهم قد أقدموا على قتله بتحريض من خصومه.

ومن المفارقات أنه بعد شهر واحد من اغتيال مالكوم إكس، أقر **الرئيس الأمريكي جونسون** مرسوماً قانونياً أقر فيه حقوق التصويت للسود، وألغى الاستخدام الرسمي لكلمة "نجرو"، التي كانت تطلق على الزنوج في أمريكا.

ـ في جريدة نيويورك تايمز ظهر المقال في اليوم الذي عقب يوم إغتيال مالكوم: "أمتلك مالكوم إكس كل مقومات القيادة".

يبقى مالكوم إكس حتى يومنا هذا مع "مارتن لوثر كنج الإبن" أكثر أعلام الحركة المدنية في الستينات معرفة لدى الأجيال، أصبح رمزاً للحركة، ستجد صوره على القمصان القطنية وعلى الملصقات و قبعات البيسبول وعلى أقداح وفناجين القهوة، ستجد مالكوم في كل مكان واقفاً ممسكاً بندقيته بجوار نافذة مكسورة،مع شعار: **"بأي وسيلة ممكنة"**.

ـ بعد تسعة أشهر من إغتياله نشرت نيويورك تايمز في عددها الشهري سيرة ذاتية عن مالكوم، ذكرت فيها: **"تلك قصة رجل حارب بطريقته وأصبح ثائراً ومحرراً لقومه"**.

ـ **جيسي** جاكسون أحد المتحدثين المعروفين في الاحتفالية التي أقيمت في عامت ١٩٩٠م في الذكرى الخامسة والعشرين لاغتيال مالكوم إكس،والذي أكد على التمسك بتراث مالكوم وأفكاره، كان هو ذاته الساعي لتسمية نفسه كمرشح للحزب الديمقراطي في الإنتخابات الرئاسية عامي ١٩٨٤,١٩٨٨م، وربط مسيرته السياسية به.

ـ عندما حاول عمدة نيويورك الأسود دايفيد دينكنز الحديث إلى بعض الشباب السود الذين كانوا يفتعلون المشاكل والاضطرابات في منطقة مرتفعات كراون في عام ١٩٩١م، لم يصغ إليه أحد، وتم الإستهزاء به، فغادر المكان وعاد مرة أخرى وهو يرتدي قبعة بيسبول عليها صورة لمالكوم إكس، وفعلت هذه القبعة مفعول السحر، حيث صمت الشباب وأصغوا إليه بانتباه.

من وراء قتل مالكوم إكس؟

تعرض الرجل لمحاولات اغتيال وإنذارات بالموت أقلقته في آخر أيامه فكان يكافح ليتفاداها في ذات الوقت الذي كان يسرع في خطى كفاحه من أجل حقوق السود.

وقد تعرض لحادث تسمم مقصود في القاهرة سنة ١٩٦٤م، وعندما قفل راجعاً إلى نيويورك مرّ بباريس، ورفضت السلطات الفرنسية السماح له بالدخول خوفاً من اغتياله هناك. وعندما وصل إلى نيويورك انفجرت قنبلة في بيته نجا منها وأحرقت البيت.

وكان مالكوم يعرف أخطار الطريق جيداً وكان يتحسب للموت ..يقول في آخر مذكراته:

" إنني أصحو كل يوم فأحس بأنني قد ظفرت بيوم جديد وأني سأموت حقيقة متى ظهر هذا الكتاب".

ولكنه كان مستبشراً بالشهادة ودنوّ الأجل وبأنه قد أدى واجبه على الوجه الأكمل فقد طوّر نفسه وطور قناعاته وجاهد في سبيل الحق وكان يقول:

" أحسب أن ما من أمريكي أسود قد غاص عميقاً في الوحل كما فعلت، وما من أسود كان أشد جهلاً مني، ولا تألم أكثر مني، وبلته الحشرجة التي ابتلتني، ولكن النور الوضّاء الصافي لا يتلألأ إلا بعد ليل عميق شديد الحلوك. والفرح الأكبر لا يتفجر في جوانب النفس إلا بعد أعظم المصائب ويجب على الإنسان أن يكون قد عرف العبودية والسجن لينعم بالحرية".

لقد انتزع **مالكوم إكس** حريته مرتين .. انتزعها من المجتمع الأمريكي الأبيض فعاد إلى قوميته السوداء معتزاً بها ومناضلاً في سبيلها ..ثم انتزعها من خلال **أليجا محمد** ليعرف نور الإسلام الوضّاء .

وكان أعداء **مالكوم إكس** كثر لا يحصيهم العدّ. ولذلك تعذّر معرفة من قتل منهم **مالكوم**، فقد كانت هناك مراكز اليهود التي خشيت من مركز قوي إسلامي جديد في السياسة الأمريكية يضغط من أجل الحق العربي والإسلامي، وكانت هناك الرأسمالية

الطاغية الاحتكارية في الشمال الأمريكي والتي تستغل السود، وكانت هناك الحكومة الأمريكية نفسها التي تخشى من ثورة السود في مطالباتهم بحقوق الإنسان.

بالإضافة إلى ذلك فقد كان جناحا حركة السود المسيحي منها والمسلم التابع **لأليجا محمد** ضد **مالكوم إكس** بعد أن أصبح الزعيم الشعبي المحبب لتجمعات السود وكان **أليجا محمد** حانقاً بصورة خاصة على **مالكوم إكس** لانشقاقه عنه.

ولسوف يبقى مقتل مالكوم لغزاً محيراً حتى بعد إطلاق سراح القاتل، بعد أن قضى سنواته في السجن وهو من المسلمين السود ولكنه رفض التصريح بهوية محرضيه على القتل.

رحم الله مالكوم إكس فبجهاده نال السود حقوقهم في التصويت وفي المساواة وفي الحقوق القانونية والأدبية.

رحم الله **مالكوم إكس** فقد ارتفع بصوته صوت الإسلام كمحرر عقائدي يبني مجتمعاً متميزاً في قلب الظلمات.

كتاب السيرة الذاتية لمالكوم إكس:

في أوائل ١٩٦٣م، **تعاون مالكوم مع أليكس هالي** من أجل كتابة السيرة الذاتية لحياته.

وفي عام ١٩٦٤ م قال هيلي: "إذا كنت على قيد الحياة عندما يخرج هذا الكتاب، سيكون معجزة."

لم ينته الكتاب عندما اغتيل مالكوم إكس في عام ١٩٦٥م. أكمل هالي الكتاب ونشره باسم: (**السيرة الذاتية لمالكوم إكس**) في وقت لاحق من ذلك العام.

وفي عام ١٩٩٨ م، كان كتاب (السيرة الذاتية لمالكوم إكس) واحد من عشر القصص الأكثر تأثيراً في القرن العشرين.

تعتبر سيرة **ماكولم إكس** من أعجب سير الزعماء في هذا العصر ... ويكفي أن مذكراته طبعت حوالي أربعين طبعة في أمريكا وحدها ... وقررت كمادة دراسية في أقسام العلوم السياسية وأقسام دراسات الأقلية السوداء بالجامعات كما أن خطبه وضعت في معامل اللغة للتدريب على الخطابة باعتباره ثاني أخطب خطيب شهدته الستينات.

من أقوال مالكوم إكس

- إذا لم تقف لشيء ستقع لأي شيء.
- المستقبل مِلْك هؤلاء الذين يعدّون له اليوم.
- إذا لم تكن على استعداد للموت في سبيل الحرية، فعليك أن تشطبها من قاموسك.
- كن مسالماً ومهذباً وأطِع القانون واحترم الجميع، وإذا ما قام أحد بلمسك فأرسله إلى القبر.
- أنا لا أرى أي حلم أمريكي، بل أرى كابوساً أمريكياً.
- على الوطنية ألا تغمض أعيننا عن رؤية الحقيقة، فالخطأ خطأ بغض النظر عمن يفعله أو يقوله.
- لو اضطررت للتوسل إلى رجل آخر من أجل حريتك فلن تنالها أبداً، فالحرية شيء يجب أن تناله بنفسك.
- لقد تعلمت باكراً أن الحق لا يُعْطى لمن يَسْكت عنه، وأن على المرء أن يُحْدِث بعض الضجيج حتى يحصل على حقه ...
- عادة عندما يشعر الناس بالحزن لا يفعلون شيئاً أكثر من البكاء على حالهم، أما عندما يغضبون فإنهم يحدثون ...
- لا أسمي العنف عنفاً عندما يكون دفاعاً عن النفس، بل أسميه ذكاءً.
- إن لم يكن هناك من ينتقدونك فالأغلب أنك لن تنجح.
- التاريخ ذاكرة الناس، وبدون ذاكرة تنزل مرتبة الإنسان إلى الحيوانات الدنيا.

- أرني رأسمالياً وسأريك مصاص دماء.
- أنا مع الحقيقة مهما كان من يقولها، وأنا مع العدل مهما كان من معه أو من ضده.
- لا أحد يمكن أن يعطيك الحرية، ولا أحد يمكن أن يعطيك المساواة والعدل، إذا كنت رجلاً فقم بتحقيق ذلك لنفسك.
- لا تستطيع فصل السلام عن الحرية، فلا يمكن لأحدٍ أن ينعم بالسلام ما لم يكن حرًّا.
- ثمن الحرية هو الموت.
- نريد الحرية، العدل، المساواة بأي طريقة كانت.
- إننا نقف على عتبة العصر النووي. التعليم أمر لا بد منه، ولا سيما في هذا العصر عالي التقنية.
- إن مشكلة أميركا هي نحن؛ و السبب الوحيد في أن لديها مشكلة هو أنها لا تريدنا هنا.
- إذا أرادنا الرجل الأبيض ألا نكون ضده، فعليه التوقف عن قمعنا و استغلالنا وسواء أمسيحيين كنا أم مسلمين أم قوميين أم ملحدين، فإن علينا أولاً أن نتعلم أن ننسى خلافاتنا.
- لقد خسرت أميركا ضميرها منذ زمن بعيد؛ إن العم سام لا يملك ضميراً، وهم لا يعرفون الأخلاق، إنهم لا يحاولون القضاء على الشرور لأنها شرور أو لأنها غير قانونية أو لأنها غير أخلاقية، وأنما يقضون على الشرور حين تهدد وجودهم فقط.

- أنتم لا تستطعون أن تذكروا لي قائداً واحداً تسبب بانفجار شعبي، لأن القادة يأتون لاحتواء الانفجار!
- إذا كنا ذاهبين إلى حلبة ملاكمة فليس على قبضتنا اليمنى أن تصبح قبضتنا اليسرى، وإنما علينا أن نستخدم رأساً مشتركاً إذا كنا نريد الفوز.

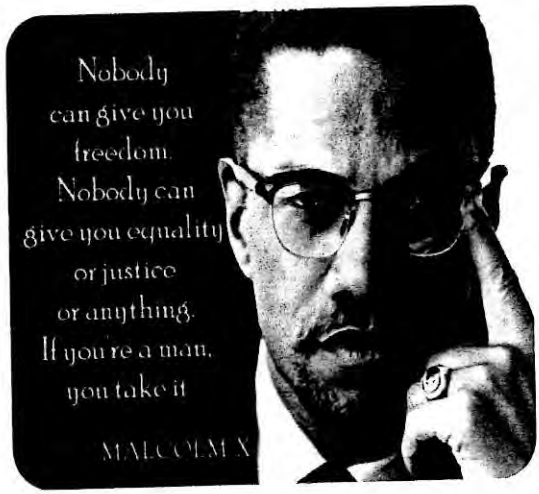

- **(لا أحد يستطيع أن يعطيك الحرية، لا أحد يستطيع أن يعطيك المساواة والعدل، إذا كنت رجلاً أنت خذها بنفسك).**

عندما نصل للفصل الأخير...من حياة مالكوم...

يجب علينا أن نبكي...

نبكي إحساسه بالخوف.. والغدر والخيانة

نبكي: عجزنا...وتقصيرنا..وجهلنا..

نبكي عجزنا عن نصرة هذا الدين..

نبكي تقصيرنا في نشر دين الله..

نبكي جهلنا بهؤلاء القمم في أمتنا..

نبكي: أنفسنا وإسلامنا وعمرنا الذي ضيعنا..

الدكتور مهاتير محمد

قصة الرجل الذي حول ماليزيا

من بلد الأكواخ إلى بلد ناطحات السحاب

الدكتور: مهاتير محمد

mahadir bin mohamat

بائع الموز الذي حكم ماليزيا

سوف يسجل التاريخ: « أن هذا المسلم » لم ترهبه إسرائيل التي لم يعترف بها حتى اليوم، ولم ينتظر معونات أمريكية أو مساعدات أوروبية، ولكنه اعتمد على الله، ثم على إرادته، وراهن على سواعد شعبه وعقولهم ليضع بلده على « الخريطة العالمية » . فاستطاع أن ينقل ماليزيا التي كانت « فأراً » إلى أن تصبح « نمراً » آسيوياً يعمل لها ألف حساب ! ! .

و استطاع أن يحلق ببلده من أسفل سافلين لتتربع على قمة الدول الناهضة التي يشار إليها بالبنان .

الدكتور: مهاتير محمد

mahadir bin mohamat

السيرة الذاتية:

الاسم: «mahadir bin mohamat» حسب ما هو مكتوب في السجلات الماليزية .. أو « مهاتير محمد » كما اشتهر به بين العرب.

ولد في ٢٠ كانون الأول ١٩٢٥م بولاية كيداه بماليزيا، وهو أصغر إخوته.

والده: من أصل هندي مدرس إبتدائي، راتبه لا يكفي لتحقيق حلم ابنه « مهاتير » بشراء عجلة يذهب بها إلى المدرسة الثانوية ..

أمه: من ملاوية وذلك في ألور سيتار عاصمة ولاية كيداه.

زوجته: تعرّف على زوجته «**سيتي حشمة محمد**» في سنغافورة التي كانت تدرس في نفس الجامعة، وهي ثاني امرأة ملاوية تدرس الطب في ذلك الوقت.

أولاده: له سبعة من الأبناء، وخمسة عشر حفيداً.

نشأته ودراسته:

نشأ في أجواء عائلية محافظة اجتماعياً، و حصل على الإبتدائية والإعدادية والثانوية في ألور سيتار.

عمل في أحد الأكشاك،كان يقدم الشاي للزبائن وما عمل بهذا العمل إلا ليوفر لقمة العيش له ولأسرته، وليكون سنداً لوالده في هذه الحياة .

ثم عمل « مهاتير » بائع « موز » في الشارع حتى حقق حلمه، وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية توفرت له فرصة العمر حيث قبل بمنحة لدراسة الطب في جامعة إدوارد السابع في سنغافورة، ودخل كلية الطب في سنغافورة المجاورة ... انضم إلى منظمة الاتحاد الوطني الماليزي «أمنو» عام ١٩٤٦م، وأصبح رئيساً لإتحاد الطلاب المسلمين في الجامعة قبل تخرجه عام ١٩٥٣م ...

درس الصحافة بالمراسلة لتوفير المال اللازم لسد مصاريفه الشخصية والعائلية، ونشر العديد من المقالات وخاصة في صحيفة «صنداي تايمز ».

كان يفتح عيادته الخاصة كـــ « جراح » ويخصص نصف وقته للكشف المجاني على الفقراء.

عمل طبيباً في الحكومة الإنكليزية المحتلة لبلاده حتى استقلت « ماليزيـــا » في عام ١٩٥٧م.

درس العلاقات الدولية في جامعة هارفارد في أمريكا عام ١٩٦٧م.

بدأ حياته الوظيفية كمسؤول صحي في الوزارة، ثم عمل في عيادته الخاصة ما بين عامي (١٩٥٧م-١٩٧٢م) ثم شغل مناصب تعليمية في المعهد والجامعة في السبعينيات.

المناصب التي شغلها:

ـ عين مندوب ماليزيا في الأمم المتحدة ١٩٦٣م.

ـ عضو برلمان منتخب عن منطقة كوتا سيتار.

ـ عضو مجلس الشيوخ، عضو برلمان منتخب عن منطقة كوبانج باسو.

ـ رئيس مجلس التعليم العالي الأول ورئيس مجلس الجامعة الوطنية في السبعينات.

ـوزيراً للتربية والتعليم من عام ١٩٧٤م و ١٩٧٥م.

ـ نائب رئيس الوزراء في عام ١٩٧٨م.

ـ رئيساً لوزراء ماليزيا: من ١٩٨١ـ٢٠٠٣م.

الحياة السياسية:

كان أول عمل سياسي له: ممثلاً لماليزيا في الأمم المتحدة ١٩٦٣ م.

انضم إلى قافلة العمل السياسي عام ١٩٦٤م عندما أصبح عضواً في البرلمان، ثم رشح في مسقط رأسه نائبًا برلمانيًا (١٩٦٤-١٩٦٩م).

وفي الوقت نفسه كان عضواً في المجلس الأعلى للحزب، وخسر مقعده بعد خمس سنوات.

طرد من الحزب بسبب انتقاده الشديد لرئيس الوزراء الماليزي الأسبق **تنكو عبد الرحمن**، واتهامه له عبر رسالة مفتوحة بتجاهل وإهمال الحقوق الأساسية للشعب الملاوي.

بدأ في عام ١٩٧٠ م بكتاباته، وكان أهمها كتاب بعنوان (**معضلة الملايو**) وهو الشعب الذي ينتمي إليه، و ذكر في كتابه الناقد المعضلات التي تسبب ركود أمته و أتهمهم بالكسل و الرضا بأن تظل ماليزيا بلداً زراعياً متخلفاً عن التطور العالمي.

ولكن كتاب مهاتير كانت شديد اللهجة حتى أن الحزب الحاكم في ماليزيا منع الكتاب من نشره في الوطن، وليصبح مهاتير محمد متمرداً في نظر الحكومة !!

لقد عرّف مهاتير محمد المعضلة الجديدة التي أصابت بلاده و لكن أيضاً بحنكته و دهائه استطاع أن يستميل هؤلاء الحكام و يقنعهم بضرورة التغيير و قد فعلها حقاً.

ويعاد انتخابه «سيناتور» في عام ١٩٧٤ م... ويتم اختياره وزيراً للتربية والتعليم في عام ١٩٧٤م /١٩٧٥م، ثم مساعداً لرئيس الوزراء في عام ١٩٧٨م، ثم نائباً لرئيس حزب «أمنو»، ثم في عام ١٩٨١م وصل إلى سدة رئاسة الوزارة ليصبح رئيساً للوزراء.

أكرر:

في عام ١٩٨١م أصبح مهاتير محمد رئيساً للوزراء في ماليزيا، لتبدأ نهضة ماليزيا الشاملة.

ماذا فعل «الجراح الماليزي» ؟

ماليزيا:

بلد مساحته تساوي «٣٢٠ ألف كيلو متر مربع» ...

وعدد سكانه ٢٧ مليون نسمة.

كانوا يعيشون في الغابات حتى عام ١٩٨١ م، ويعملون في زراعة المطاط، والموز، والأناناس، وصيد الأسماك ...

وكان متوسط دخل الفرد أقل من ألف دولار سنوياً ... والصراعات الدينية « ١٨ ديانة » هي الحاكم ...

كانت ماليزيا تعيش فترة عصيبة، فقد خرجت من حرب أهلية كانت على وشك تدمير الشعب، إن ماليزيا كانت و ما زالت عبارة عن تجمعات عرقية تسودها الشحناء وكان شعبه عبارة عن مزارعين لا يفكرون إلا بقوت يومهم، ليس لديهم أي نظرة للمستقبل، بينما الأمم كلها تتصاعد وتثير الأرض بكاملها.

حتى أكرمهم الله برجل إسمه « mahadir bin mohamat ».

شعر مهاتير محمد بحالة أمته و الفقر الذي أكتسحها فما كان منه إلا أن بدأ.

نعم بدأ و لم ينتظر من يحركه، بل بدأ لتحريك أحاسيس شعبه و فتح عيونهم للمستقبل فكفانا ركوداً في عصر التقدم.

بدأ مهاتير محمد بداية إن دلت فتدل على ذكائه و فطنته:

بدأ بتحريك شعبه فكرياً !! فلم يقوم بمظاهرات و لم يحرك الحروب، بل عرف سر تقدم الأمم: الفكر !!

نعم إنه: الفكر .....كما أعجب مهاتير بتجربتين هامتين هما تجربة محمد علي في مصر "١٨٠٥-١٨٤٠م" وتجربة الميجى[1] في اليابان عام ١٨٦٨م ولاشك أن الرجل قرأ التاريخ جيداً واستلهم دروسه واستفاد بشكل كبير من قراءته التاريخية.

فماذا فعل هذا الجراح الماليزي؟؟

اعتمد مهاتير في فكره للتقدم بالبلاد على ركائز أساسية ويعد أولها بل في مقدمتها:

الركيزة الأولى: الوحدة بين فئات الشعب: حيث أن سكان ماليزيا ينقسمون إلى: السكان الأصليين وهم المالايا ويمثلون أكثر من نصف سكان ماليزيا. وقسم آخر من الصينيين والهنود وأقليات أخرى.

و توجد الديانة الأساسية وهي الإسلام بالإضافة للديانات الأخرى مثل البوذية والهندوسية.

"ولقد نص الدستور الماليزي على أن الدين الرسمي للدولة هو الإسلام مع ضمان الحقوق الدينية للأقليات الدينية الأخرى ".

فكان لا بد من التوحيد بين جميع الأطراف، لتسير البلاد كلها نحو هدف واحد والعمل وفق منظومة تتكاتف فيها جميع الفئات.

الركيزة الثانية: خطة التنمية: تمثلت في البحث عن دولة مناسبة تقوم بعملية الدعم لماليزيا في تجربتها نحو التقدم والتنمية، وكانت هذه الدولة هي **اليابان** التي أصبحت من أكبر حلفاء ماليزيا في مشروعها نحو التنمية والتقدم.

---

(١) نهضة اليابان الحديثة استمرت فترة٤٤ سنة متصلة (١٨٦٨ ــ١٩١٢): عاشت اليابان مرحلة انغلاق وانعزال عن العالم مما أدى إلى إحداث فجوة علمية وتقنية كبيرة بينها وبين الغرب وجاءت الصدمة الكبرى عندما حلت البواخر الأمريكية العملاقة بتقنياتها المتطورة سواحل اليابان عام ١٨٥٣م والتي يطلق عليها في التاريخ الياباني (السفن السوداء)، كانت هذه الأحداث وعوامل أخرى متعددة محفزات لبدء عصر جديد يطلقون عليه في اليابان " عصر نهضة الميجى " والتي تنسب إلى الإمبراطور الشاب ميتسو ــ هيتو الذي حكم في الفترة من ١٨٦٨ إلى ١٩١٢ م والذي أطلق عليه اليابانيون اسم الميجى، ومعناها باليابانية المستنير وكان عمره (١٤) عاماً، شهدت هذه الفترة حركة نهوض علمي وتقني وكان من أبرز مظاهرها حركة ابتعاث الطلبة اليابانيين إلى الخارج لنهل العلوم والعودة بها إلى أوطانهم.

الركيزة الثالثة: العمل على جذب الاستثمار نحو ماليزيا وتوجيه الأنظار إليها:

قام مهاتير بإدخال التكنولوجيا الحديثة والتدريب عليها حتى يتم الانتقال بالبلاد سريعاً إلى مرحلة أخرى أكثر تقدماً، وأيضاً لتحقيق إمكانيات التواصل مع العالم الخارجي.

كانت هذه هي الركائز. **أما الخطوات التطبيقية فكانت:**

أولاً: رسم خريطة لمستقبل ماليزيا حدد فيها الأولويات والأهداف والنتائج، التي يجب الوصول إليها خلال ١٠ سنوات .. وبعد ٢٠ سنة .. حتى عام ٢٠٢٠م.

ثانياً: قرر أن يكون التعليم والبحث العلمي لهما الأولوية على رأس الأجندة، وبالتالي خصص أكبر قسم من ميزانية الدولة ليضخ في التدريب والتأهيل للحرفيين .. والتربية والتعليم .. ومحو الأمية .. وتعليم الإنكليزية .. وفي البحوث العلمية .. كما أرسل عشرات الآلاف كبعثات للدراسة في أفضل الجامعات الأجنبية ..

وكان لا بد له من أن يتساءل:

لماذا « الجيش » له الأولوية وهم ليسوا في حالة حرب أو تهديد؟

ولماذا الإسراف على القصور ودواوين الحكومة والتهاني والتعازي والمجاملات والهدايا .. طالما أن ما يحتاجه البيت يحرم على الجامع؟

ثالثاً: أعلن للشعب بكل شفافية خطته و استراتيجيته، وأطلعهم على النظام المحاسبي الذي يحكمه: مبدأ الثواب والعقاب للوصول إلى « النهضة الشاملة »، فصدّقه الناس ومشوا خلفه **ليبدأوا « بقطاع الزراعة »:**

فغرسوا مليون شتلة « نخيل » في أول عامين لتصبح ماليزيا أولى دول العالم في إنتاج وتصدير « زيت النخيل ».

– في قطاع السياحة:

قرر أن يكون المستهدف في العشر سنوات هو ٢٠ مليار دولار بدلاً من ٩٠٠ مليون دولار عام ١٩٨١م، لتصل الآن إلى ٣٣ مليار دولار سنوياً .. وليحدث ذلك قام بتحويل المعسكرات اليابانية التي كانت موجودة من أيام الحرب العالمية الثانية إلى مناطق سياحية

تشمل جميع أنواع الأنشطة الترفيهية والمدن الرياضية والمراكز الثقافية والفنية .. لتصبح ماليزيا « مركزاً عالمياً » للسباقات الدولية في السيارات، والخيول، والألعاب المائية، والعلاج الطبيعي ، و... و... و....

- في قطاع الصناعة:

حقق في عام ١٩٩٦م طفرة تجاوزت ٤٦٪ عن العام السابق بفضل المنظومة الشاملة والقفزة الهائلة في الأجهزة الكهربائية، والحاسبات الإلكترونية.

- وفي النشاط المالي:

فتح الباب على مصراعيه بضوابط شفافة أمام الاستثمارات المحلية والأجنبية لبناء أعلى برجين توأم في العالم .. **بتروناس**(Petronas).. يضمان ٦٥ مركزاً تجارياً في العاصمة كوالالمبور وحدها .. وأنشأ البورصة التي وصل حجم تعاملها اليومي إلى ألفي مليون دولار يومياً.

- **وأنشأ أكبر جامعة إسلامية على وجه الأرض**، أصبحت ضمن أهم خمسمائة جامعة في العالم يقف أمامها شباب الخليج بالطوابير.

- كما أنشأ عاصمة إدارية جديدة **بوتراجايا** putrajaya[1] بجانب العاصمة التجارية «كوالالمبور» التي يقطنها الآن أقل من (٢) مليون نسمة، ولكنه خطط أن تستوعب سبعة

---

(١) بوتراجايا (Putrajaya): تتكون من ثمان بحيرات ومساحات شاسعة من الغابات الطبيعية الخلابة، كرست الحكومة الماليزية طاقتها لتكون هذه المدينة هي المدينة النموذجية في آسيا وربما في العالم، فبدأت بالبنية التحتية الأساسية فيها وذلك ببناء ثمان جسور فوق البحيرات الثمان لربط المناطق والتلال ومهدت الجبال والتلال المحيطة وذلك لبناء قصر لملك ماليزيا وقصر لرئيس الوزراء وبناء منازل لكلاً من سلطان ولاية سيلانجور وباقي وزراء الدولة وأيضاً شرعت في بناء مباني الوزارات والإدارات الحكومية على ضفاف البحيرة، ومن أبرز الأماكن المهمة فيها مجمع بيردانا بوترا وهو يحوي مكتب رئيس الوزراء ونائبه وعلى مقربة من المجمع تحفة معمارية أخرى وهو مسجد جامع بوتراجايا الذي يطل على بحيرة بوتراجايا ويتعبر أهم المعالم المميزة في المدينة حيث تظهر العمارة الإسلامية والمهارة الحرفية في تصميمه. وفي وسط المدينة يبرز معلم داتاران بوترا وهو عبارة عن ميدان تحيط به الأشجار والزهور والنوافير والأضواء لتجسد لوحة رائعة ويتكون إطاره الخارجي من ١١ نجمة ترمز إلى الإحدى عشرة ولاية التي كانت تمثل البلاد عند استقلالها وفي الداخل ١٣ نجمة تمثل الثلاثة عشر ولاية التي تمثل ماليزيا الآن.

ملايين عام ٢٠٢٠م، ولهذا بنى مطارين وعشرات الطرق السريعة تسهيلاً للسائحين والمقيمين والمستثمرين الذين أتوا من الصين والهند والخليج ومن كل بقاع الأرض، يبنون آلاف الفنادق بدءًا من الخمس نجوم حتى الموتيلات بعشرين دولار في الليلة !!!

باختصار:

استطاع **الحاج «مهاتير»** من عام ١٩٨١ م إلى عام ٢٠٠٣ م، أن يحلق ببلده من أسفل السافلين لتتربع على قمة الدول الناهضة التي يشار إليها بالبنان، بعد أن زاد دخل الفرد من (١٠٠٠) دولار سنوياً في عام ١٩٨١م عندما تسلم الحكم إلى (١٦) ألف دولار سنوياً وأن يصل الاحتياطي النقدي من (٣) مليارات إلى (٩٨) مليار، وأن يصل حجم الصادرات إلى (٢٠٠) مليار دولار.

فلم يتعلل بأنه تسلم الحكم في بلد فيه (١٨) ديانة، و لم يتلكأ ويتمسك بحجج واهية: بأنه عندما تسلم الكرسي في عام ١٩٨١ م كان عدد شعبه(١٤) مليوناً، والآن أصبحوا (٢٨) مليوناً.

لقد أصبحت ماليزيا اليوم: واحدة من أكبر ٢٠ دولة صناعية في العالم.

مهاتير القدوة

كان أهم ما قام به مهاتير محمد هو إعادة بناء الإنسان الماليزي .... لقد اِتخذ من نفسه نموذجاً حياً لما يجب أن يكون عليه الإنسان الماليزي من انضباط ومعرفة.

فمهاتير محمد هو أول رئيس دولة يضع على صدره (بادج) يحمل إسمه ووظيفته كرئيس الوزراء مثله مثل أي موظف في مكتب رئيس الوزراء .. لذلك ليس غريباً أن تجد في ماليزيا كبيرهم وصغيرهم يضع (بادج) مكتوب عليه: إسمه ووظيفته حتى ولو كان رئيساً للوزراء.

وأيضاً يوجد فيها حديقة وتلاند بارك وهي مليئة بالأشجار ويوجد فيها برج مرتفع لمشاهدة مدينة بوترا والتصوير من الأعلى.

الفكر التنموي لمهاتير محمد

يقول الدكتور مهاتير:

تطوير أي شعب وإخراجه من حالة التخلف يستلزم في رأيي التركيز على ما يمكن أن نسميه الآن بلغة الكمبيوتر السوفت وير، والهارد وير، و هي التركيبة العقلية والذهنية للشعب.

أما الهارد وير: فهو البنية الأساسية اللازمة من كهرباء واتصالات وغيره.

وبالنسبة **للسوفت وير** كان لابد من تطوير نظام التعليم بالكامل من خلال التركيز على تعليم الإنجليزية والعلوم الهندسية والرياضية والتكنولوجية بالذات، واعتمدنا في هذا بدرجة كبيرة على اليابان التي ساعدتنا، لأن اليابان يهمها كثيراً أن ترى من حولها متقدمين.

كما سعيت أيضاً من خلال السوفت وير إلى إيجاد طبقة وسطى ماليزية تأخذ على عاتقها التحلي بقيم المنافسة والابتكار وتطوير البلاد، ونجحت في ذلك من خلال انتقاد الملايويين سكان البلاد الأصليين والزراعيين، وتهديدهم بانتزاع الامتيازات التي تمتعوا بها، وامتداح الصينيين الذين هم حوالي ٢٠٪ من السكان، لقدراتهم العالية ونشاطهم وحيويتهم.

عندما أتيت للحكم رفعت " **شعار ماليزيا بوللي** " ومعناها:

إن ماليزيا قادرة على فعل كل شيء، وذلك لزرع روح التحدي وكان هذا شيئاً أساسياً في فكري. و لتحقيق ذلك اعتمدنا ولكن ليس بدرجة كبيرة على قروض من اليابان.

اليابان ثاني أكبر مستثمر في ماليزيا بعد الولايات المتحدة، لقد اهتم مهاتير محمد بالتوجه للشرق أي لليابان وكوريا الجنوبية والصين وليس لأمريكا أو أوربا .. حيث شجع اليابان لتتخذ من ماليزيا مركزاً للاستثمار طويل الأجل الآمن ..

فتم نقل معظم المصانع اليابانية الشهيرة لماليزيا للاستفادة من الأيدي العاملة الرخيصة نسبياً وأيضاً المساحات الكبيرة الرخيصة .. ليصبح قرابة ٢٠٪ من المنتجات اليابانية الكهربائية تنتج في ماليزيا لتصدر بعد ذلك للعالم أجمع.

لكن التمويل الأساسي وهو العنصر الحاكم الذي لعب دوراً هائلاً في مشروع تطوير ماليزيا هو ارتفاع معدل الإدخار في البلاد، حيث يصل إلى ٣٥٪ من إجمالي الناتج القومي.

يقول مهاتير:

المدخرات العائلية في ماليزيا تتعدى قيمتها في ٢٠٠٥م ما يصل إلى ٧٠ مليار دولار، هذا ما مكنا بدرجة كبيرة من تطوير البنية الأساسية الهارد وير وبعد ذلك ساعدنا فائض صادراتنا، حيث صادرات ماليزيا زادت قيمتها من ٥,٢ مليار رينجيت[1] في ١٩٧٠م إلى ٥١٤ مليار رينجيت، أو ١٣٥ مليار دولارأمريكي.

أما بالنسبة **للسوفت وير:**

فقد اعتمدنا على القطاع الخاص بدرجة كبيرة وخصوصاً من قبل الصينيين الماليزيين، حيث أسهموا بإنشاء المدارس والجامعات والمعاهد العلمية والهندسية والتي يصل عددها الآن حوالي ٣٢ .

في البداية كان الملايوون يحجمون عن الذهاب إلى هذه المدارس لأن العقلية الزراعية كانت مازالت مسيطرة، لكن عندما وجدوا أن المدارس الصينية هي التي تخرج أصحاب المهارات ممن يجدون فرص العمل والثراء أقبلوا على هذه المدارس.

في هذه المدارس يتعلمون اللغة الإنجليزية والصينية والرياضيات علاوة على اللغة المالايوية.

بعد أن توليت الحكم مباشرة وجدت أنني لا يمكنني أن أعتمد على الأرقام والإحصائيات الحكومية، فقررت في الحال ضرورة إنشاء مركز للدراسات الاستراتيجية والدولية، وأحضرت الخبراء المتخصصين وقلت لهم:

---

(1) رينجيت (Malaysian Ringgit): هي العملة الرسمية المستعملة في ماليزيا. تصدر هذه العملة من قبل بنك نيجارا ماليزيا وهو البنك المركزي في تلك البلاد. و مختصر اسم هذه العملة: RM أو MYR .

سوف تأخذون تمويلاً من الحكومة ولكن هذا لا يعني بتاتاً أن تكونوا تابعين لها، أريد أرقاماً ودراسات أستطيع الاعتماد عليها.

ولقد رأيت أن العاصمة **كوالا لامبور** تحتاج لتطوير وأنها لا يمكن أن تبقى على هذا الحال أبداً.

فقمت بجولة في المدينة واخترت المكان الذي رأيته ملائماً، وانتقلت إلى هناك وقلت سوف أقيم في هذا المكان وعلى جميع الوزارات والإدارات الحكومية الانتقال إلى هنا بخطة محددة.

تم إنشاء هذه المدينة في أول التسعينيات، مساحتها الآن ٤٥٠٠ هكتار، وتحولت إلى مدينة رائعة تزخر بكل الوزارات تقريباً، علاوة على **واد للتكنولوجيا** الذي رأيت ضرورة إنشائه بعد زيارتي لوادي السيليكون في ولاية كاليفورنيا الأمريكية، وكان أحدث تطوير أدخله وادي التكنولوجيا في الحياة الماليزية: هو ما يسمى **بالبطاقة الذكية** التي يستخدمها المواطن في أغراض عدة بدءً من التصويت في الانتخابات، وكرخصة سيارة، وككرت طبي علاجي وشهادة ميلاد، وتقوم ماليزيا بتصدير هذه التكنولوجيا لدول مجاورة .

مهاتير محمد والعولمة

يكاد يكون مهاتير الزعيم الوحيد في العالم الذي أولى الحديث عن العولمة وتحدياتها وتأثيراتها على العالم الإسلامي والدول النامية اهتماماً فكرياً غير مسبوق منذ فترة مبكرة تسبق زخم الحديث عنها في التسعينيات.

فمهاتير ظل ينبه العالم منذ سنوات إلى عدم المساواة، وأخطار العولمة وقبل أن تصبح واقعاً للعصر غير قابل للنقد.

ويكتسب حديث مهاتير محمد عن العولمة أهمية خاصة، ذلك أن كثيراً من الأفكار والاستنتاجات التي يقدمها هي وليدة المعرفة والخبرة الطويلة كقائد دولة تعرضت حديثاً لأزمة مالية واقتصادية لم تكن متوقعة، والسبب الرئيسي وراء هذه الأزمة هو القوة المالية

للعولمة، ومن ثم فإننا نجد الأفكار التي يطرحها ثاقبة وعميقة، ولا يمكن أن تنبثق فقط عن دراسة ورؤية نظرية فحسب، فالمتابع والمطالع لأفكار مهاتير بهذا الشأن يكتشف بجلاء كيف يربط بين مظاهر السياسة المعقدة، والأحداث الجارية، واستجابة ماليزيا الواعية لتطورات وضغوط العولمة، حيث اتبعت سياسات جريئة عندما كانت في أتون الأزمة المالية والاقتصادية في الفترة من عام ١٩٩٧م وحتى عام ١٩٩٩م، لصد المضاربة في البورصة ولإنعاش الاقتصاد بعد أن كان على حافة الانهيار.

فكانت ماليزيا الدولة الوحيدة التي واجهت الأزمة الاقتصادية في ذلك الوقت ورفضت سياسات صندوق النقد الدولي، وابتكرت سياستها الخاصة التي اشتملت على سعر الصرف الثابت وعدم تعويم النقد، وغيرها من الإجراءات، ولعل عدم لجوء ماليزيا إلى "روشتة- وصفة" صندوق النقد الدولي في مثل هذه الحالات جنب البلاد الاضطرار إلى اللجوء إلى سياسة الباب المفتوح للقوى المالية الأجنبية لشراء الأصول الوطنية.

مهاتير محمد: المفكر المسلم

مهاتير رجل لا يرى الإسلام مجرد ممارسة لمجموعة من الشعائر الدينية، بل منظومة متكاملة تصلح لجميع شؤون الحياة.

وبفضل هذه العقلية الجبارة والروح المتشبعة بتعاليم الشرع نهض عالم الشرق الآسيوي المنازع لقوة الغرب المادية والمفارق له ثقافياً في الوقت نفسه، وفي قلب الصورة المضيئة لمع اسم **مهاتير**.

فلم يكن الرجل مجرد أداة لتطور تاريخي يتداعى بالعدوى من محيط الجوار الناهض، بل كان يدرك ما يفعل بالضبط، فهو رجل الفكر والإنجاز في آن واحد، هو الطبيب الذي تحول إلى أفضل خبراء الاقتصاد، وهو الحاكم الذي تحول إلى أعظم مفكر وصاحب نظرية للطفرة الآسيوية.

الوحدة الإسلامية:

كان مهاتير محمد داعية لحوحاً من أجل تحقيق الوحدة بين الدول الإسلامية وتفعيل قدراتها و إمكانياتها في مواجهة ما ينتظرها من مستقبل غامض.

والأكثر من ذلك أنه أعلن التحدي الكبير في مواجهة الدول الغربية والإدارة الأميركية ورفض الانصياع لتسلط البنك وصندوق النقد الدوليين معتبراً ذلك نوعاً من الهيمنة والسيطرة الاقتصادية.

تمثلت أفكار مهاتير في التوجهات والنظريات الإسلامية وارتباطها بالتقدم والتطورات التي وصلت إليها ماليزيا خلال السنوات الماضية، حيث تستحوذ القضايا الإسلامية بكافة أبعادها وصورها المحلية والدولية على نصيب وافر من فلسفة الدكتور **مهاتير محمد** الذي لم يقصر في دعمها وتعزيزها والدفاع عنها في كافة المحافل الدولية والإقليمية انطلاقاً من مفاهيم ومبادئ يرى فيها الأساس الحقيقي للالتزام بالقيم والقواعد الإسلامية الحقيقية.

– دعواته الدائمة إلى ضرورة تعزيز التعاون بين الدول الإسلامية لتحقيق التنمية من قناعة راسخة بحتمية هذا الأمر للارتقاء بحال الأمة، والنهوض بها من الواقع المتأزم الذي تعانيه إلى المستقبل المنشود والارتقاء بها من خلال مشاريع واقعية تتوفر لها أسباب النجاح، فكان يقول:

"لقد مضى الآن أكثر من ١٤٠٠ عام منذ انبلاج فجر الإسلام وبلوغه مرحلة التمكين، وازدهار الحضارة الإسلامية، وفي تلك الفترة خضعت كل الأديان التي ألهمت البشرية من قبل وقادت خطاها إلى تطورات أفقدتها معناها الحقيقي، وأضعفت تأثيرها ونفوذها وسط أبنائها. والإسلام بالطبع ليس استثناء، وينبغي على المسلمين جميعاً أن يعترفوا بأن الإسلام والعالم الإسلامي يمران حالياً بحالة من الفوضى الضاربة بأطنابها في كل مكان، وأن الانقسامات الحادة تسهم في إضعاف نفوذها وتأثيرها لدرجة أصبح المسلمون معها غير قادرين على مجابهة التحديات الحاضرة، ولا على مجاراة التحولات المهمة التي تحدث تغييرات جذرية على المسرح العالمي، وهو أمر يهدد الأمة الإسلامية بالانزلاق باتجاه مزيد من الضعف والتخلف.

قيمة خاصة للتعاون:

يقف مهاتير قبل ولوج القرن الواحد والعشرين قائلاً:

"إن الأمة الإسلامية مازالت تعيش في سبات عميق وينبغي أن نعترف لأنفسنا بل ولغيرنا، بأن المجتمعات الأخرى قد سبقتنا ببضعة قرون، ومن ثم فإن المسلمين مطالبون أكثر من أي وقت مضى أن يدركوا حقيقة الوضع الذي هم فيه في ضوء ما استحدثته المجتمعات البشرية المتطورة من أفكار تجديدية، وتقنيات حديثة ما زالت الأمة غير مهيأة لاستيعابها وعاجزة تماماً عن التعامل معها ".

محاسبة الذات:

يقول مهاتير عقب افتتاح المؤتمر العالمي لعلماء الإسلام الذي عقد في كوالالمبور بتاريخ ١٠تموز ٢٠٠٣ م:

على المسلمين محاسبة أنفسهم لأن هناك أفراداً من المسلمين لم يفهموا الإسلام فهماً عميقاً.

ولا يجوز لنا أن نقول بأننا على علم بكل شيء ونستطيع أن نتغلب على كافة المشاكل، وأن هناك أفراداً يتعلمون من الأوروبيين والغربيين ويتجرأون أن يقولوا أنهم في غنى عن الدين، لأنهم يدّعون استيعاب كل شيء، وعلى سبيل المثال الرحلة إلى أرض القمر بركوب المركبة الفضائية، وليس بهم حاجة إلى الدين وليس هناك داعي إلى وجود الله، كما أن ذلك تفكير ضال وضيق لأن العلوم تجيب السؤال حول كيف يحدث الشيء لا لماذا يحدث الشيء.

دعم متواصل للعرب:

تتمثل مواقف مهاتير من القضايا العربية والإسلامية في الدفاع المتواصل عن حقوق تلك الشعوب، بل كانت لها سمة خاصة أبرزها: الانتقاد الدائم واللاذع لسياسة واشنطن في التعامل مع قضايا المنطقة العربية والإسلامية، حيث انتقد عقب أيام قليلة من رئاسته لمؤتمر قمة حركة عدم الانحياز في١٢آذار ٢٠٠٣م، في كوالالمبور ما تتبناه الإدارة الأمريكية في هذا الإطار معلناً صراحة: أن نوايا واشنطن في العراق لم تكن في حقيقة الأمر التخلص من الرئيس العراقي السابق بل تحقيق أهداف خاصة.

مؤلفاته

قام مهاتير محمد بتأليف كتاب " **معضلة الملايو**" عام ١٩٧٠م، وهو الكتاب الذي أثار ضجة، وقام فيه بانتقاد الشعب الملاوي واتهمه بالكسل ودعا فيه الشعب لثورة صناعية تنقل ماليزيا من إطار الدول الزراعية المتخلفة إلى دولة ذات نهضة اقتصادية عالية، ولقد تم منع الكتاب من قبل منظمة الملايو القومية المتحدة، ولكنه استطاع أن يتجاوز هذا وبدأ يظهر كشخصية سياسية لها فكر مختلف حتى وصل لرئاسة الوزراء عام ١٩٨١م.

كما قام بتأليف عدد آخر من الكتب منها كتاب:

" **صوت ماليزيا وصوت آسيا– زعيمان أسيويان يناقشان أمور القرن المقبل**" هذا الكتاب الذي قام بالمشاركة بتأليفه مع السياسي الياباني شينتارو اشيهار.

ـ وألف **موسوعة محضير محمد**: وهي عبارة عن عشرة مجلدات.

أهم ما كتب عنه:

قام عدد من المؤلفين والكتّاب بتناول حياة الزعيم الماليزي مهاتير محمد، والتجربة الماليزية، سواء في مقالاتهم أو كتبهم نذكر منهم:

الكاتب الفلسطيني الدكتور عبد الرحيم عبد الواحد والذي قام بتأليف كتاب عنوانه " **مهاتير محمد .. عاقل في زمن الجنون** " حيث يستعرض فيه التجربة الماليزية والظروف التي عاشتها وكيفية تغلبها على الأزمات التي واجهتها، كما ركز في الكتاب على شخصية مهاتير محمد وفلسفته ورؤيته الاقتصادية والسياسية والإسلامية خلال فترة رئاسته للوزراء.

من أقوال الدكتور مهاتير محمد

- ليس هناك شيء اسمه (مستحيل)، ربما هناك شيء اسمه (غير ممكن حالياً) ولكن من الممكن أن يكون حقيقياً غداً ..
- العدل .. وحرية الكلمة .. والديمقراطية الرشيدة .. والتواضع .. والشفافية .. والمحاسبة .. واللغة الإنجليزية .. والرغبة في التعلم .. ومراعاة الله على المستوى الفردي والشعبي .. كلهم عناصر أساسية في منظومة التقدم .. فالتقدم في الأصل هو منظومة أخلاقية.
- كنت ما أريده معروفاً للجميع حتى قبل أن أتولى السلطة ـ رئاسة الوزارء ـ قمت بتأليف كتابي الشهير **المشكلة الماليزية**.
- كان هدفي هو إخراج ماليزيا من وضع الدولة الزراعية. وهذا لم يكن معناه مجرد إخراج مادي بإنشاء مصانع وبنية أساسية وغيره، ولكن إخراجها من: العقلية الزراعية التي ترضى بالواقع ولا تحب المغامرة والمنافسة والتطور و الانفتاح.
- أنا انتقدت أمريكا عندما قالت: إن غياب الديمقراطية في العالم الإسلامي هو السبب الرئيسي في إفراز الإرهاب المصدر إليها.

ورأيي الذي أعلنته دائماً: هو أن الإسلام دين ديمقراطي. إن الخلفاء الراشدين الأربعة كلهم قد تم اختيارهم بطريقة ديمقراطية.

- من جانبي حاولت جعل ماليزيا نموذجاً لصورة حديثة للإسلام، القرآن يحثنا على أن نعد العدة دائماً لمواجهة الأعداء. ومواجهة الأعداء في هذه الحالة لا يمكن أن تتم بتفسير الإسلام بصورة متشددة أو باللجوء لأعمال إرهابية ولكن باكتساب معارف العصر.
- لو كل فرد منا آمن بأنه لم يكتمل بعد .. وأنه لازال محتاج إلى مزيد من التوجيه والإرشاد ليكون أفضل .. هذا سيخلق ثقافة اجتماعية أكثر ميلاً للتسامح مع أفكار

الآخرين .. بل سيجعل المجتمع بالكامل يسعي دائماً للتعلم واكتساب المزيد من العلوم والخبرة .. لتصبح العلوم والخبرة هي في حد ذاتها عنصر هام في اقتصاديات المعرفة ..

فاليوم المعرفة صارت ثروة في حد ذاتها .. وليس فقط البترول والذهب .. وبناء حب المعرفة في المجتمع الماليزي هو أحد أسباب تقدم ماليزيا اليوم ..

- بقائي في السلطة لم يكن أبداً هدفاً في حد ذاته. كانت عندي فكرة وهدف أردت تحقيقهما في ماليزيا وعندما رأيت أنني نجحت قلت يجب أن أستقيل، وإذا أردت أن أخدم ماليزيا فيمكنني أن أفعل ذلك أيضاً وأنا خارج السلطة.
- إذا كنت تريد أن تعرف لماذا ينجح حاكم ويفشل آخر فنصيحتي: أنه يجب أن يكون واضحاً جيداً في رأس أي حاكم وخصوصاً في العالم الثالث الإسلامي ما الذي يريده من البقاء في السلطة، هذا الشيء قد يبدو سهلاً في الظاهر ولكنه صعب التطبيق لأنه دون أن يسأل الحاكم لماذا أنا هنا بصفة دائمة فإن سوء الحكم وسوء الإدارة وحب البقاء في السلطة هو النتيجة التلقائية.
- الإسلام دين عملي، و لم يقصد به أبداً أن يكون ديناً مفروضاً بالقوة والقهر على أتباعه. وليس مقصوداً به أن يكلفهم بما لا طاقة لهم به، ولذلك يقول سبحانه وتعالى في سورة البقرة: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾[1].
- نحن (المسلمون) أقوياء فعلاً..(١,٣) مليار إنسان لا يمكن هزيمتهم أبداً.

---

(١) البقرة: ٢٥٦.

قالوا عن مهاتير محمد

- " مهاتير زعيم فريد وصدر عنه أقوال ومبادرات نابعة عن الإخلاص والذكاء، وهذه المواقف نابعة عن الخليط من مشاعره وتفكيره مما جعله زعيماً فريداً "

عقب استلام شيراك وسام السلام العالمي

بوترا جايا، ٢٣ تموز ٢٠٠٣

- " الدكتور مهاتير بمثابة الصديق المميز والخاص للشعب الياباني لأنه زار اليابان ٥٠ مرة منذ عام الستينيات".

رئيس الوزراء الياباني جينيشيرو كويزومي

كوالالمبور، ٢ آب٢٠٠٣

- " إنه لمن الصعب تصور العيش بجانب منطقة مجاورة بدون مهاتير، وفي الوقت الذي وصل فيه إلى أوج سلطته ونجاحه، وهو ما زال محتفظاً بقوته رغم بلوغه ٧٧ عاماً وبكل رضى ينهي خدمته كرئيس للوزراء في دولة ناجحة بمحض اختياره وهو في أوج سموه الفكري والسياسي"

" مهاتير يترك منصبه في فترة من فترات قيادته القوية وهي ذات اقتصاد راسخ والأهم من ذلك أنه يترك ماليزيا وهي في حالة استقرار اجتماعي وطراز من الشعب الماليزي القوي" " بفضله الفكري والسياسي والاقتصادي نجح في قيادة ماليزيا للتخلص من الأزمة المالية ١٩٩٧م حيث أنعش فرص الاقتصاد لجذب المستثمرين الأجانب ولفت انتباه اليابان بتلك الجهود إلى منطقة جنوب شرقي آسيا، ثم سار على طريقة أخرى في مواجهة الأزمة بإجراء الرقابة على العملات فعادت ماليزيا إلى أحسن الأحوال".

صحيفة «ستريتس تايمز» السنغافورية

٣١تشرين الأول ٢٠٠٣م.

" ماليزيا مؤهلة لأن تكون دولة إسلامية نموذجية وأن مشاريع الإعمار المكثفة وشعبها المتحلي بخلق إسلامي صحيح والبرامج التعليمية التي نفذتها هيئت لها لأن تكون الدولة الإسلامية التي يستحب للدول الإسلامية الأخرى الاقتداء بها لأن هذه الأشياء هي متطلبات التعاليم الإسلامية. لأن الإسلام دين يبني ويعمر وليس ديناً يهدم ويخرب ".

الإمام الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر

بوترا جايا، ١١ تموز ٢٠٠٣ م

" تصريحات مهاتير محمد التي دفعت بالدوائر الغربية عموماً إلى نقده نفاقاً وخوفاً وهلعاً من ضروب العقاب الصهيونية التقليدية لم تتجاوز الواقع وإنما عبرت عن الحقيقة ".

السيد يسين

في مقال بعنوان «معاداة السامية أم انتصار للحق؟

صحيفة الأهرام المصرية القاهرة، ٤ نوفمبر ٢٠٠٣

ـ رشح مهاتير محمد (من قبل مؤسسات صربية و مسيحية) لجائزة نوبل للسلام ٢٠٠٧.. نظراً لدوره في مساندة شعب البوسنة.

الاستقالة

" وقتي انتهى.. لن أتولى أي مسؤوليات رسمية بعد ٣١ تشرين الأول ٢٠٠٣م، لأنه من المهم أن يتولى قيادة ماليزيا جيل جديد بفكر جديد ".

قرر الزعيم الماليزي الانسحاب من السلطة وهو في قمة مجده بعد أن استطاع نقل البلاد إلى مرحلة جديدة متقدمة من النهضة الاقتصادية، وبعد قيامه برئاسة الوزراء لمدة ٢٢عاماً، وكان زعيم حزب الأغلبية في البرلمان الماليزي.

لقد قرر اعتزال الحياة السياسية عام ٢٠٠٣م بعد أن أثبت للعالم إمكانية قيام دولة إسلامية بالنهوض اقتصادياً بالاعتماد على شعبها والوحدة والتآلف بين جميع أفراده بمختلف دياناتهم وأعراقهم، قام مهاتير محمد بتسليم مقاليد البلاد لخليفته عبد الله أحمد بدوي وهو في قمة نجاحه، وأصبح بعد ذلك الرجل الاقتصادي الحكيم والذي يعد منهجه السياسي والتنموي مرجع للعديد من السياسيين والقادة في بلاده وفي جميع أنحاء العالم.

هل شعرت بشعور تلك المرأة . . . تلك المرأة التي قبلت يد هذا الرجل الحكيم و قالت له:

لا يا سيدي . . لا تتركنا في زمن الجنون . . . .

فقد أعلن هذا الرجل: إستقالته من قيادة الشعب.

لقد تعب من هذا الزمن . . . .

فجأة و إذا بكل من في القاعة يصيحون بكاءً: لا يا سيدي لا تتركنا . .

عاد و قال: بل سأتركها، سأترك القيادة ليختار الشعب من يريد . . . .

تفاجأت في ذلك الوقت: من هذا الشخص الذي جعل كل هؤلاء رجالاً و نساءاً يكون و

يترجونه بالبقاء على سدة الحكم . . . . . ولكنه رفض البقاء ! !

في هذه النشوة وذاك الجمال . .

تتوقف . . . وتتوارد عليك هواجس ومشاعر وأحاسيس وما تلبث أن تشعر

بالقهر والذل و الإنحطاط . . لأنك . . . ولأنك . . ويا أسفاه . .

كم من العلماء والخبراء والقمم أهدرنا وضيعنا ؟ ؟ كم من الأموال والتجارب والخبرات دمرنا ؟

كم نابغ برز ؟ وكم من هؤلاء كرّمنا أو احتضنا ؟ ؟

فلا استفادوا ، ولا استفدنا

ولا دنيا . . . ولا دين . . . عشنا أو بنينا

محاضرة للدكتور مهاتير محمد

مكانة وأهمية التطوع في مجال التعليم تجربة ماليزيا[1]

على الرغم من أن التعليم في ماليزيا مدعومٌ اليوم بصورة كبيرة من قِبل الحكومة، وبعض الشيء من قبل المؤسسات الخاصة، فقد مر وقت أثناء الفترة الاستعمارية كانت فيه بعض المدارس والمؤسسات التدريبية تملكها وتديرها هيئات تطوعية.

ومع ذلك كانت معظم المدارس التطوعية الخاصة تديرها هيئات تنصيرية، لم يكن هدفها مقتصرًا فقط على توفير التعليم، لكن أيضًا نشر الدين المسيحي. و وفقًا لمعاهدة بين هذه الهيئات و الدولة الماليزية، لم يكن مسموحًا لهم بتنصير المسلمين، لذلك استثنوا الماليزيين المسلمين من حضور فصول الدين المسيحي.

ولأن الماليزيين كانوا يدينون بالإسلام، فقد كان هناك عدد ضئيل جدًا من الماليزيين في تلك المدارس التنصيرية.

على الجانب الآخر كانت المدارس التي تديرها منظمات إسلامية تُقدِّم فقط المناهج الدينية، حتى إذا أرادت تلك المدارس تدريس نفس المواد الدراسية غير الدينية التي تدرسها المدارس التي تُسمّى بـــ "العلمانية"، فإنهم في الواقع لم يكونوا يستطيعون ذلك؛ نظرًا لعدم توافر المدرسين الأكفاء. وللأسف لم يكن لدى هؤلاء المدرسين- المؤهلين لتدريس المناهج الدينية فقط- فرص كبيرة للتوظيف سوى كمدرسي دين أو كموظفين في مجال الشؤون الدينية.

---

(١) ألقى رئيس وزراء ماليزيا الأسبق الدكتور مهاتير محمد، محاضرة حول مكانة وأهمية التطوع في التعليم بالتطبيق على النموذج الماليزي، وذلك في جلسة عمل ضمن فعاليات المنتدى العالمي للعمل التطوعي ٢٠٠٩م المقام في مدينة أبهـــا، السعودية.

الفقر

عقبة كؤودٌ أخرى تقف في طريق التعليم التطوعي بين المسلمين تكمن في (الفقر). فقليل جدًا من بين هؤلاء الأشخاص وهذه المنظمات من كان قادرًا على تقديم التعليم المجاني، ولو كان دينيًا.

كما كانت البعثات التعليمية قليلة جدًا، اللهم إلاّ من كانت تمنحهم الحكومة الاستعمارية فرصة تلقي التعليم في المدارس الحكومية، أو في الخارج.

بشكل عام يمكننا القول:

إن العمل التطوعي كان يلعب دورًا متواضعًا في التعليم بماليزيا خلال فترة الحكم الاستعماري.

ماليزيا دولة متعددة الأعراق والأديان، فبينما يدين الماليزيون بالإسلام، فإن الصينيين والهنود يدينون بالبوذية والهندوسية، وكان من بينهم أيضًا قليل ممن تحوَّلوا إلى المسيحية.

وبينما كان بإمكان غير المسلمين الذهاب إلى المدارس التنصيرية التي تديرها منظمات مسيحية، كان عدد قليل جدًا من الماليزيين المسلمين يُلحقون أولادهم بهذه المدارس. وقد كانت مخاوفهم من أن يتم تنصير أولادهم غير مبررة إلى حد ما؛ فلم يتنصَّر طفل واحد طيلة ٢٠٠ عام من الحكم الاستعماري.

وكانت النتيجة أن أعداد المسلمين الماليزيين المتعلمين، على الرغم من توافر المدارس الحكومية الإنجليزية، كانت قليلة مقارنة بغير الماليزيين، ما يُعتبر نقطة سلبية بالنسبة لمسلمي ماليزيا خلال الحقبة الاستعمارية.

ولم يكن التعليم في الفترة الاستعمارية إجباريًا، وكانت هناك مدارس إبتدائية دشّنتها الحكومة، لكنها لم تكن قادرة على استيعاب كافة الماليزيين. وكان التعليم في هذه المدارس الإبتدائية مجانيًا، وسيره بطيئًا، وكان بإمكان من يستكمل تعليمه الإبتدائي أن يعمل فقط كمدرس إبتدائي، أو في المكاتب الحكومية.

أما الشركات الأوروبية الكبيرة فكانت ترفض توظيفهم؛ لأن كافة أعمالها كانت تتم باللغة الإنجليزية التي لم يكن يتقنها هؤلاء.

وقد التحق كثير من هؤلاء الطلاب بقوات الشرطة أو اشتغلوا بالأعمال اليدوية أو القيادة.

وكانت واحدة أو اثنتين من المدارس الإبتدائية الصينية تقدم تعليمًا ثانويًا، وكانت هذه المدارس مملوكة للمجتمع الصيني، ولم تكن تتلقى أي دعم حكومي.

الاستقلال

وفي عام ١٩٥٧م استقلت ماليزيا، ووضعت النخبة التي كانت تلقت تعليمها الإنجليزي في جامعات بريطانيا، وكان التعليم على رأس أولوياتها.

وبدأ الذهاب إلى انجلترا واستراليا ونيوزيلندا والهند، وكان للأزهر في مصر حظ وافر في تقديم التعليم الديني. وفورًا بدأت حكومة الاستقلال في إعداد البعثات الدراسية إلى الجامعات في الخارج.

وكان الهدف الأساسي من هذه البعثات الخارجية أن يتوافر موظفون ماليزيون يكون بإمكانهم العمل بدلاً من الموظفين البريطانيين، وبالفعل تمكنوا من ذلك، على الرغم من بعض الصعوبات التي واجهتهم، بل تحسنت الإدارة حينما تسلموا زمام الأمور بدلاً من البريطانيين.

وتزايد الطلب على التعليم بسرعة مع مرور الوقت، وأعدت الحكومة خطة تعليمية شاملة، ووفرت الدعم للمدارس من المرحلة الإبتدائية وحتى الجامعة. وكانت معظم البعثات الدراسية ممنوحة من الدولة.

وسريعًا أصبحت الجامعات التقنية قادرة على سد حاجة السوق المتزايدة، لكن نتيجة لبعض الصعوبات التي واجهت الدولة في هذا السياق كان من الضروري إرسال المزيد من البعثات إلى الخارج. وكان على الطلاب الماليزيين تعلم لغات أوروبية أخرى بالإضافة إلى

اليابانية ليتمكنوا من اقتحام الجامعات الأجنبية الناطقة بغير الإنجليزية. وكانت الحكومة تتأكد من حسن سير التعليم ورفع الكفاءة اللذين تقوم بهما الجامعات الأجنبية لمبعوثيها.

الإنجليزية والتعليم

وتحدث مهاتير عن التطور العلمي المذهل الذي يشهده العالم، وكيف أن الباحثين يسطرون كل يوم العديد من الأوراق حول هذه الاكتشافات الجديدة، كلها باللغة الإنجليزية، ما يتطلب إلمامًا تامًا بهذه اللغة. **مضيفًا:**

المشكلة أن اللغة التقنية التي تُكتَب بها هذه الأوراق تتطلب لفهمها دراية تامة بهذا المجال. أما ترجمتها فتتطلب ثلاث مهارات: التمكن من الإنجليزية والماليزية بالإضافة إلى المعرفة الوثيقة بالموضوع المُترجم، هذه المعرفة لا يكفي فيها الثقافة العامة بل ينبغي أن يكون المترجم على دراية بأسسه العلمية. ومن الصعوبة بمكان أن تجد من تتوافر فيه هذه المهارات الثلاث، وبدون ترجمة جيدة فلن يتمكن الطلاب الذين لا يتقنون الإنجليزية من فهم محتوى هذه الأوراق البحثية.

ولأهمية هذه المعلومات للبلاد، قررت الحكومة الماليزية مؤخرًا تدريس مادتي العلوم والرياضيات باللغة الإنجليزية.

ماضٍ مشرق

أود أن أُذَكِّر أنفسنا جميعًا بأن المسلمين كانوا أكثر شعوب الأرض تقدمًا في مجالات العلوم والرياضيات والطب والفلك... إلخ، خلال القرون الأولى من الحضارة الإسلامية، تعلموا لغات أجنبية ليتمكنوا من الاطلاع على علوم الأمم غير العربية.

وقد أقيمت المكتبات العظيمة في بلدان إسلامية كقرطبة وبغداد، وكان على الأوروبيين أن يتعلموا اللغة العربية ليتمكنوا من الاطلاع على هذه العلوم الكثيرة. ونحن نعلم بالطبع أن المسلمين اليوم يعانون، وأن الحضارة الإسلامية لم تعد في موقع الريادة كما كانت في قرون النهضة الإسلامية. وأسباب ذلك تعود إلى تراجع المسلمين عن طلب العلم، وإقبال

الأوروبيين على العلوم العربية واغترافهم من مكتباتها التي كانت منتشرة في البلدان الإسلامية.

وبهذه العلوم تقدمت حضارتهم بسرعة، عن طريق قيامهم بالعديد من الأبحاث وتطوير علوم جديدة. ويدرك التربويون الماليزيون ضرورة أن يستعيد المسلمون تلك العلوم التي فقدوها، واستفاد منها الأوروبيون.

ويتم التركيز اليوم في ماليزيا على فروع العلوم والرياضيات والتكنولوجيا، كما تقوم الجامعات الخاصة بالتخصص في هذه المجالات، ويُشجع الطلاب على دراسة هذه المواد.

وكما تَرون لم نعد نفكر في التعليم التطوعي بماليزيا، وقد كان ذلك مفيدًا وضروريًا في السابق. أما اليوم فقد أصبح التعليم ضرورة ملحة، تحتم على الحكومات أن تدعمه كأولوية. بحيث لا يمكننا أن ننتظر الأشخاص ليتطوعوا في مجال التعليم. أيضًا يجب أن يصبح التعليم إجباريًا على الجميع، وأن يصبح أيضًا تعليمًا مستمرًا (Lifelong Learning).

وجوب التعليم

كما ينبغي أن يكون دعم المؤسسات التعليمية من مسؤوليات الحكومة، ويجب ألاّ يُقدَّم التعليم بوساطة المتطوعين، بل يجب أن يُدرَّب المدرِّسون، ويتلقوا رواتب جيدة. بالطبع يجب علينا ألاّ نتجاهل دراسة ديننا، لكن تحصيل العلم في مجالات أخرى يجب أيضًا ألاّ تتجاهله المجتمعات الإسلامية.

وقد حث القرآن المسلمين على دراسة العلوم والرياضيات وغيرهما. وعلى سبيل المثال كان المسلمون الأوائل يعدون العدة للدفاع عن أنفسهم، وفي عهد النبيﷺ كانت الأسلحة عبارة عن سيوف ورماح ودروع، أما اليوم فهذه الأسلحة لم تعد صالحة لتطبيق وصية القرآن في إعداد العدة للدفاع عن أنفسنا، لكننا بحاجة اليوم إلى دبابات وطائرات مقاتلة وسفن حربية ومسدسات وصواريخ باليستية، وغيرها كثير من الأسلحة المعقدة.

صحيح أنه بإمكاننا شراء كل هذه الأسلحة بالمال، لكن أعداءنا لن يبيعونا الأسلحة التي ستساعدنا على هزيمتهم.

لذلك يجب علينا البحث والاختراع وتصميم وإنتاج أسلحتنا الخاصة التي تمكننا كماً وكيفًا من الدفاع عن أنفسنا ضد العدو. ولنقوم بذلك نحتاج إلى العلوم الرياضية وغيرها.

هذه العلوم ليست علومًا دنيوية (Secular Knowledge)؛ لأننا نستخدمها لتطبيق وصايا القرآن. ومن ثم فإن تحصيل هذه العلوم، والبحث الذي يجب علينا القيام به مقصود لكي يمكننا من الدفاع عن أنفسنا، كما ورد في القرآن.

الفهم مفتاح العمل

وهذا حقًا يعتبر فرض كفاية، وسنأثم جميعًا إذا لم نُحصّل العلوم التي تمكننا من الدفاع عن أنفسنا. وفي الإسلام لا توجد علوم دنيوية، فكل العلوم بما فيها العلوم الدينية تحمل صفة الوجوب لاحتياجنا إليها في تحقيق واجباتنا اتجاه الأمة (وما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجب).

إذا فهمنا أن الإسلام يأمرنا بهذا التعليم، سنكون أكثر استعدادًا للقيام بذلك. والأهم من ذلك أننا سنكون مستعدين للتعليم حتى إذا لم نتلق مقابلاً لذلك. بكلمات أخرى.. ينبغي علينا أن نجعل هذه المعرفة متاحة للمسلمين عن طريق بناء المدارس، وتدريب المدرسين، وإجراء الأبحاث، وتطوير العمل التطوعي.

هناك مفهوم شائع: أن الذين يمارسون العمل التطوعي ينبغي أن يعطوا المال فقط من أجل التعليم الديني، لاعتقادهم أن الثواب في الآخرة لا يكون إلاّ على هذه الأعمال، ولهذا يقصرون الإنفاق على المدارس والمؤسسات الدينية فقط، وهم بذلك لا يعملون على تحقيق الواجب القرآني بالدفاع عن أنفسهم.

أمة واحدة

وتستطيع حكومات بعض البلدان الإسلامية الصرف على المدارس لتحصيل العلوم التي ذكرتُها. لكن المسلمين جميعًا ينتمون إلى أمة واحدة، وإلى مجتمع إسلامي واحد، سواء

كانوا عربًا أم ماليزيين أم أفارقة، فماداموا مسلمين فهم جميعًا إخوة. لذلك فواجبنا بدعم الفقراء من المسلمين لا يقتصر على محيط بلداننا فقط، بل يتعداه ليشمل الدول المسلمة الأخرى كذلك.

لا أحب عقد المقارنات، لكننا نعلم أن المسيحيين ينفقون أموالهم لصالح الحملات التنصيرية والمدارس التي تقوم بهذه المهمة. أكثر من ذلك هم مستعدون للذهاب لأي مكان في العالم، وإن لم يكن مكانًا مريحًا، ليس فقط ليقدموا التعليم الديني بل أيضاً العلوم الفرعية الأخرى، وكل المدرسين في هذه المدارس التنصيرية متطوعون. وهم يخاطرون بحياتهم من أجل هذا العمل التطوعي.

أما الإسلام فلا يطلب منا هذا النوع من التطوع والتضحية بالحياة، بل يكفي توفير العلم الذي يحتاجه فقراء المسلمين بهدف تحقيق الواجب الذي يفرضه عليهم دينهم.

التربية على التضحية

ومن الواضح أن هناك العديد من الآيات القرآنية تحثنا على التضحية من أجل الصالح الشخصي والعام للأمة، بل إن القيام بالتضحيات هو أحد أهم صفات الإسلام؛ فالتطوع في الأساس عبارة عن القيام بالتضحيات، لذلك فالتطوع من صلب الإسلام، ولهذا السبب يوجد في ماليزيا هذا النوع من المؤسسات، مثل جمعية الإغاثة الطبية الماليزية (ميرسي ماليزيا) (MERCY Malaysia)، وحينما حدثت **كارثة تسونامي** هبَّ الماليزيون لتقديم يد العون ليس فقط بتقديم المساعدة الطبية، لكن أيضاً بإعادة بناء المدارس التي دمرها تسونامي، وتدريب مدرسين جدد ليحلوا محل من قضوا نحبهم في تلك الكارثة. هناك العديد من المنظمات التطوعية المشابهة في بلدان إسلامية عديدة، وبين الجاليات الإسلامية في الدول الغربية. وللأسف غالبية التعليم الذي يُقدَّم فيها يركز على المناهج الدينية والعلوم الأساسية فقط. نريد من بقية المسلمين أن يتطوعوا لتدشين جامعات في كل البلدان الإسلامية، وأيضًا في البلدان غير الإسلامية التي استقر فيها المسلمون. وينبغي أن تقدم الجامعات والمدارس ما يُطلق عليه "التعليم الدنيوي"، بجانب التعليم الديني. كما

ينبغـــــي إشـــــراك غـــــير المســـــلمين في ذلـــــك أيضـــــاً.

لقد أنشأت الحكومة الماليزية "**الجامعة الإسلامية العالميـة بماليزيـا**" (nternational Islamic University Malaysia)، حيث التعليم الديني إجباري في المراحل الأولى، لكن أيضًا يجب عل كل الطلاب دراسة العلوم والهندسة والمعمار والمحاسبة وغيرها. كمـا تتاح المنح الدراسية للمسلمين الأجانب من (٩٠) دولة. والمطلوب توفير جامعات كهذه تقدم التعليم الديني والدنيوي، وتديرها هيئات تطوعية مسلمة.

فريضة القوة

صحيح أننا نؤدي الزكاة، لكن أهدافنا تكون ضيقة. فالزكاة يجب ألاّ تكون فقط لصـالح من حولنا، لكن لصالح كل المجتمعات الإسلامية في العالم، ويجب أن يُنظَـر للصـدقات والزكوات بهذا المنظور. وذلك سيساعد المسلمين حول العالم لتحقيق ما أمرهم الله بـه، وسـيخرجهم مـن الجهـل ليصـبحوا أمـة إسـلامية قويـة. يجب علينا أن نهتم بالمساجد حول العالم ليتمكن المسلمون من الصلاة، لكن ذلك وحـده لن يكون كافياً، بل يجب علينا أيضاً أن نوفر التعليم الـذي يضـمن في النهايـة تـأمين احتياجات المسلمين ليس فقط في حالة الحرب بل في كل المجالات. إذا ما تعلم المسـلمون ودرسوا كيفية حرب الأعداء سيقوى إيمانهم، أما إذا كنا ضعفاء وفقراء فربما نفقد أيضـاً الإيمان، وسنقع في براثن الإرهاب وغيره من الممارسات غير الإسلامية لتغذيـة شـعورنا بالغضب.

إن شاء الله بهذه الأعمال التطوعية في مجال التعليم يمكننا استعادة مجد حضارتنا الإسـلامية القديمة.

الدكتور

ذاكر عبد الكريم نايك

(ديدات بلس)

الدكتور ذاكر عبد الكريم نايك

طبيب وجراح هندي

من مواليد: ١٩٦٥م. داعية مسلم آتاه الله موهبة خارقة:

ألا وهي حفظ أرقام الآيات في القرآن الكريم واستحضارها بسهولة لا يمكن تصورها، له هدف واحد وهو نشر الإسلام في أنحاء الأرض.

ناظر النصارى واليهود والهندوس والبوذيين.

يحفظ كتبهم بشكل لا يصدق، ومن يسمعه بدون أن يراه يعتقد أنه يقرأ من كتاب.

ألقى أكثر من ١٣٠٠ محاضرة في السنوات الأخيرة، في جميع أنحاء العالم.

أسلم على يديه عدد لا يحصى من البشر.

اتفق مع أحد القساوسة على مناظرة، ولكن المناظرة ألغيت.

هل تعرفون لماذا؟ لأن القسيس أسلم، وهو يطالع كتب الدكتور ذاكر نايك قبل أن يناظره.

الدكتور ذاكر عبد الكريم نايك

- **السيرة الذاتية:**

الاسم: ذاكر عبد الكريم نايك. **(Zakir Abdul Karim Naik).**

لقبه: ديدات الأكبر.

تاريخ الولادة: في ١٨ تشرين أول/ ١٩٦٥م. في مومباي.

جنسيته: هندي.

زوجته: داعية إسلامية. تُلقي محاضرات عديدة وبعدة لغات على النساء من مختلف بلدان العالم.

قال الدكتور ذاكر نايك في إحدى محاضراته: إنه يريد أن يتزوج واعظة. وحقق الله عز وجل أمله.

أولاده: عنده ثلاثة أولاد.

الابن الأكبر: **فارق نايك**، وعمره (١٩) سنة الآن.

وابنتان: **الأولى ذكرى** نايك وعمرها (١٧) سنة.

والثانية **رشدى (Rushda) نايك** وعمرها (١٤) سنة.

دراسته ومهنته: تلقى تعليمه في مدرسة القديس بطرس(.I.C.S.E)، في مومباي، ليلتحق بعد ذلك بمدرسة سان بيتر العليا بالمدينة ثم كلية كيشنتشاند تشيلجرام، يحمل درجة بكالوريوس في **الطب من ولاية مهاراشترا والتي تقع على الساحل الغربي للهند**، ودرجة بكالوريوس في الجراحة من جامعة مومباي.

فهو طبيب جراح وداعية وخطيب ومناظر إسلامي هندي[1].

---

(1) **الإسلام في الهند:** دخل الإسلام الهند والسند أول ما دخل على يد محمد بن القاسم الثقفي المتوفى سنة ٩٨هـ وذلك في عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك . وقد انتشر الإسلام بعد ذلك على يد التجار والزهاد والدعاة المخلصين انتشاراً محدوداً.

وفي القرن الرابع الهجري ظهرت موجة الفتح الإسلامي الثانية للهند عندما حكم الهند عاهلون كبار من العرق التتري والمغولي، على رأسهم إلب شكين التتري، والد محمود الغزنوي، الذي حكم مملكة تبدأ من ضفة نهر جيحون اليسرى، إلى سلسلة جبال سليمان مغرب السند، وجعل قاعدة ملكه في غزنة، ثم يستولي على البنجاب ويبدأ في هذه النواحي اعتناق الإسلام بأعداد كبيرة. وعندما خلفه ابنه محمود الغزنوي، الذي استمر في الحكم ثلاثين سنة، قام بحملات على أنحاء من الهند اثنتي عشرة مرة، مما جعل فتح المسلمين للهند وسيطرتهم عليها أمراً ثابت الدعائم والأركان

وقد حكم المسلمون الهند ثمانية قرون منذ محمود الغزنوي، وحتى دخول الإنجليز إليها في القرن التاسع عشر الميلادي، الثالث عشر الهجري. وخلال هذه القرون الثمانية، أسدى المسلمون لشبه القارة الهندية خدمات عظمى، أولها وأعظمها، نشر الإسلام؛ الذي أصبح يدين نحو عشرين في المائة منهم، ولو كان من سياسة المسلمين إجبار الناس على الدخول في الإسلام، لكان أولى البقاع بذلك هي الهند، إذ كانت السيطرة فيها كاملة للمسلمين، وكان أكثر أهل الهند وثنيين من الهندوس، ومن البوذيين. وقد تعدى تأثير الإسلام في معتنقيه، إلى من سواهم من غير معتنقيه، فأثر في **عقلية الشعب الهندوكي وفي ديانته نفسها. أما من الناحية الاجتماعية فكان تأثير الإسلام** ـــ كما يقول العلامة أبو الحسن الندوي ـــ عظيماً، إذ حمل المسلمون معهم فكرة المساواة الإنسانية التي لم يكن للهند عهداً بها؛ فلا نظام طبقات، ولا منبوذ، ولا نجس بالولادة، ولا تقسيم وراثي للحرف والصناعات، ولا جاهل يحرم عليه التعليم، بل الناس جميعاً يعيشون معاً، ويأكلون جميعاً، ويتعلمون سواء، ويختارون ما يشاءون من الحرف والصناعات. يدخل في أثر الإسلام الاجتماعي موقفه من المرأة، من ناحية احترامها والاعتراف بحقوقها وكرامتها كعضو محترم من أعضاء الأسرة والإنسانية، ولعل عظمة موقف الإسلام من المرأة تتجلى في الهند إذا علمنا أن النساء في الهندوكية كن يحرقن أنفسهن بالنار بعد وفاة أزواجهن، وهن لا يرين ولا يرى المجتمع لهن حقاً في الحياة بعد وفاة الأزواج، وهذا الطقس الهندوكي ، يسمى " ستي ". **أما فضل الحضارة الإسلامية في الهند على المسلمين أنفسهم، فهو صفحة عظيمة لا يمكن حصر** نواحي إبداعها في هذا المجال، سواء فيما أنشأوه من آلاف المساجد البالغة الغاية في فن المعمار، وسواء فيما أسهموا به **في العلوم الإسلامية المختلفة. ومن التراث الإسلامي العالمي الذي أنجزه** مسلمو الهند كتاب "العباب الزاخر" للإمام حسن بن محمد اللاهوري، وكتاب "كنز العمال " للشيخ علي بن حسام الدين المتقي البرهانفوري، ومنها "الفتاوى الهندية " في ستة مجلدات، "ومنها مسلم الثبوت في أصول الفقه" لمحب الله بن عبد الشكور ، وكتاب "كشاف اصطلاحات الفنون" للشيخ محمد التهانوي ، و"جامع العلوم" و"حجة الله البالغة" للإمام ولي الله الدهلوي ،وهو من أعظم الكتب في الحضارة الإسلامية. ومنها "تاج العروس في شرح القاموس" للسيد مرتضى الزبيدي ...

- **محاضراته العامة:**

ألقى الدكتور ذاكر حتى عام ٢٠١١م أكثر من ١٣٠٠ محاضرة في الولايات المتحدة، وكندا، وبريطانيا، وإيطاليا، والمملكة العربية السعودية ومصر والإمارات العربية المتحدة، والكويت، وقطر، والبحرين، وعمان، وأستراليا، ونيوزيلنداو وجنوب أفريقيا، وبوتسوانا، وماليزيا، وسنغافورة، وهونغ كونغ وتايلند، وغيانا (أمريكا الجنوبية)، وترينيداد، والعديد من البلدان الأخرى، بالإضافة إلى العديد من المحادثات العامة في الهند. وقد شارك بنجاح في العديد من الندوات والحوارات مع شخصيات بارزة من أتباع الديانات الأخرى.

أكثر من ١٠٠ محاضرة ومناظرة متوفرة على الفيديو وأقراص الكمبيوتر.

- **مجالات الاهتمام:**

- الدراسات في الدين المقارن.
- الطب.
- المساعدة الإنسانية والاجتماعية، والاقتصادية.
- الأنشطة التعليمية.

- **برنامج التدريب على الدعوة:** أجرى عدة برامج تدريبية للدعوة، بما في ذلك: "برنامج التدريب على الدعوة الدولية للمسلمين". و "التدريب بفعالية لإيصال رسالة الإسلام".

وهو مدير مؤسسة البحث الإسلامية: (Islamic Research Foundation : أوIRF) في الهند.

بينما كان الشيخ "أحمد ديدات" يرقد على فراش مرضه الطويل والأخير، كان نموذج آخر للمناظر والمحاضر في مقارنة الأديان يظهر في بلده الأصلي "الهند"، وما إن وافته المنية -رحمه الله- حتى كان نجم النموذج الهندي "ذاكر نايك" يسطع في سماء المناظرة والمحاضرة والدعوة مستثمراً أدوات العولمة الإعلامية العصرية من إنترنت وفضائيات ليصنع ما لم يصنعه أستاذه.

الرحلة

من أحمد ديدات إلى ذاكر نايك

في ليلة من ليالي صيف عام ١٩١٨م وفي غرب الهند، وبالتحديد في أحد الأحياء الفقيرة لمدينة سورات المطلة على بحر العرب ولد طفل لزوجين مسلمين، ومن باب التفاؤل به سمياه أحمد؛ تبركًا بالمصطفى ﷺ.

عاش هذا المولود كأي طفل في تلك الأحياء الفقيرة، لم يكن يميزه عنهم إلا تعلق والده به؛ إذ كان ذكياً ذو وجه دائري حنطي داكن البشرة، لا يخفي تعجبه من أي شيء، ولا يوقف طوفان تساؤلاته إلا غلبة النوم عليه.

وحين بلغ سن التاسعة عزم والده على الهجرة إلى بلد آخر؛ فقد دعاه له ابن عم له بحثًا عن الحياة الكريمة، وقد ضاق ذرعًا بما آلت إليه الأمور في الهند من كثافة سكانية هائلة، وقلة موارد المعيشة، فأستأذن أبو أحمد من زوجته بالسفر في طلب الرزق؛ ولكونه متعلقاً بابنه أراد أن يذهب (أحمد) معه ويعود به بعد عام، فوافقت على مضض.

شد أبو أحمد رحال السفر ليستقروا مؤقتاً في مدينة ديربان عام ١٩٢٧م وهي مدينة من مدن جمهورية جنوب أفريقيا، ولكن حينما تم لهم ثمانية أشهر هناك، وأحمد الصغير ينتظر وقت العودة ليحظى بحضن أمه، وصل الخبر بوفاتها وانتقالها لجوار ربها، فصدم الصبي وأبوه، وعزموا حينها على البقاء في جنوب أفريقيا وإلى الأبد.

درس أحمد حتى وصل للمرحلة المتوسطة، إلا أن مقدر الأقدار (جل وعلا) قد كتب في اللوح المحفوظ موت أبيه، فمات عام ١٩٣٤م وكان أحمد حينها يبلغ من العمر ١٦ عاماً، فترك دراسته وبحث عن عمل يعتاش منه، فعمل لدى صاحب حانوت يدعى j.m وهو من الرجال البيض في جنوب أفريقيا (مسيحي)، وقد رأى في الصبي علامات النبوغ والأمانة والإخلاص والصدق، فبدأ يلاطف عامله الصغير ويحسن له، وقد استقامت الأمور

-أو كادت – لبطلنا، واعتقد هذا الصبي أن الزمن قد أعتقه، ولكن كانت الليالي حبلى .. فماذا بقي في جعبتها له ؟!

إذ لم تكن تلك الراحة المؤقتة إلا الهدوء الذي يسبق العاصفة! ولكن أي نوع من العواصف؟

في أحد الأيام زار قس مسيحي صديقه الحميم j.m في حانوته العامر، وفي أثناء الحديث مع صديقه لفت انتباه هذا القس صبي حنطي البشرة يتكلم الإنجليزية ولغة الزولو(لغة دول وسط و جنوب أفريقيا) ولغة الأردو (لغة غرب الهند وباكستان لغة أحمد الأم) بطلاقة متساوية وبسرعة بديهية، وكان يأمر وينهى ويدير عمل الحانوت بإخلاص متفاني وكان عمره آنذاك ١٨ عام أو أقل تقريباً.

فسأل صديقه: من هذا الغلام؟ فقال له صديقه j.m : هذا فتى اسمه (أحمد) فقال القس متعجباً: مسلم! فليتنصر أو اطرده.

دعا j.m صاحب الحانوت الفتى المسلم أحمد، وصديقه القس حاضر وقال له: أنا أريد أن أخلصك من شقاءك فقال الفتى الذكي – وقد شعر بأن هناك ثمناً باهظاً مقابل تلك المساعدة: وما ذاك ؟!!

فقال j.m : إن هذا القسيس رجل دين فاضل ويقول إن الرب يسوع يريد مساعدتك إن أنت خلصت نفسك وسيباركك الرب.

فكانت ردة فعل هذا الشاب عنيفة وقال: لا أنا مسلم.

فقال j.m : لماذا يا أحمد؟ فرد: بأنه لا يعرف إلا إله واحد (هو الله جلا جلاله) ويقدر المسيح (عليه السلام) تقدير نبي عظيم فقط.

استرسل القس مقاطعاً وغاضباً في الشبهات الملفقة، وقد أكثر هذا القس المسيحي من الكلام الذي لم يرق لأحمد، إلا أن أحمد صمت تقديراً لرب العمل واعتقد أن j.m كان يحابي القس فقط.

بدأ هذا الشاب اليافع ينكب على كتب الدين يدرسها ليدافع عن الإسلام ويجول ويصول عنه حتى أتى ذلك اليوم الأسود على المسيحية حينما تجرأ أحد زوار j.m وقدم لهذا الفتى كتاب الإنجيل وأعتقد أن مثل هذا الكتاب قادر على إلجام هذا الشاب إلا أن هذا الشاب التهمه وقد درسه حتى حفظه عن ظهر قلب، ثم قارنه بالقرآن، فوجد الفرق الفارق. ولم يكتف بذلك ولم يشف غليله، فتتبع مخطوطات الإنجيل وجميع نسخه فكانت الكارثة وانكشف المستور وأصبح ذلك المسيحي الذي منح الكتاب المقدس للفتى المسلم (أبو رغال النصرانية؛ حيث فتح بحمقه باباً لم يغلق إلى اليوم).

وبدأ أحمد: فناظر سيده فأفحمه فقام سيده واستدعى بعض القساوسة الذين أسقط في يدهم ولم يكن لهم حظ أمام آلاف التساؤلات التي انفتحت كنهر متفجر.

ترك أحمد العمل عند j.m وبدأ يستقبل الإرساليات المسيحية إلى بلدان جنوب أفريقيا، ويناظرها. فلما كثرت مناظراته وهو في مطلع الثلاثينات من عمره، بدأ يدعو أساتذتهم من الرهبان، ثم تحولت الوسيلة في الأربعينات من عمره إلى هدف الدعوة إلى الله[1].

---

(1) ولد الشيخ أحمد حسين ديدات عام ١٩١٨ م في بلدة (تادكيشنار) بولاية (سوارات) الهندية. بدأ دراسته في العاشرة من عمره حتى أكمل الصف السادس، ولكن الظروف المادية الصعبة أعاقت استكماله لدراسته.

عمل في عام ١٩٣٤ م بائعاً في دكان لبيع المواد الغذائية، ثم سائقاً في مصنع أثاث، ثم شغل وظيفة (كاتب) في المصنع نفسه، وتدرج في المناصب حتى أصبح مديراً للمصنع بعد ذلك.

في أواخر الأربعينات التحق الشيخ أحمد ديدات بدورات تدريبية للمبتدئين في صيانة الراديو وأُسس الهندسة الكهربائية ومواضيع فنية أخرى، ولما تمكن من توفير قدر من المال رحل إلى باكستان عام ١٩٤٩ م، وقد مكث في باكستان فترة منكبّاً على تنظيم معمل للنسيج.

تزوج الشيخ أحمد ديدات وأنجب ولدين وبنتاً .

اضطر الشيخ أحمد ديدات إلى العودة مرة أخرى إلى جنوب أفريقيا بعد ثلاث سنوات للحيلولة دون فقدانه لجنسيتها، حيث أنه ليس من مواليد جنوب أفريقيا. وقد عرض عليه فور وصوله إلى جنوب أفريقيا استلام منصب مدير مصنع الأثاث الذي كان يعمل فيه سابقاً.

في بداية الخمسينيات أصدر كتيبه الأول: " ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد ﷺ؟

ومن ذلك اليوم: وصواعق هذا الرجل تدوي بالغرب المسيحي دوياً اهتزت منه قاعات الفاتيكان منذ مطلع التسعينات.

لقد حرك ذلك البائع المسيحي الساذج j.m وصديقه القسيس: القمقم الفطري في فؤاد ذلك الطفل المسلم.

فأيقظوا منه المارد الذي حين ما خرج (ورط الكثير).

وأصبحت النصرانية العالمية برمتها وبعد هذه التجربة القاسية، تحاذر أشد الحذر من أن توقظ أحمد ديدات آخر.

ولكن....لقد استيقظ ديدات آخر...ومن الهند..إنه: الطبيب الداعية ذاكر نايك.

في عام ١٩٥٩ م توقف الشيخ أحمد ديدات عن مواصلة أعماله حتى يتسنى له التفرغ للمهمة التي نذر لها حياته فيما بعد، وهي الدعوة إلى الإسلام من خلال إقامة المناظرات وعقد الندوات والمحاضرات. وفي سعيه الحثيث لأداء هذا الدور العظيم زار العديد من دول العالم، واشتهر بمناظراته التي عقدها مع كبار رجال الدين المسيحي أمثال : كلارك – جيمي سواجارت – أنيس شروش .

أسس معهد السلام لتخريج الدعاة، والمركز الدولي للدعوة الإسلامية بمدينة (ديربان) بجنوب أفريقيا.

ألف الشيخ أحمد ديدات ما يزيد عن عشرين كتاباً، وطبع الملايين منها لتوزع بالمجان وقام بإلقاء آلاف المحاضرات في جميع أنحاء العالم.

ولهذه المجهودات الضخمة مُنح الشيخ أحمد ديدات جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٩٨٦ م.

الدكتور ذاكر نايك

وبداية العمل الدعوي

في عام (١٩٩١م) بدأ العمل في مجال الدعوة للإسلام، مستمراً في عمله الطبي لبضعة أعوام، وقد تفرغ منذ سنة ١٩٩٣م للدعوة الإسلامية إثر لقاء جمعه مع الداعية الكبير **"أحمد ديدات"** رحمه الله .. وقد نصحه ديدات بأن يدخل مجال الدعوة لِما رأى فيه من الموهبة .. وقد لقبه ديدات رحمه الله فيما بعد بلقب يحبه ذاكر نايك ألا وهو:" **ديدات الأكبر". أو" ديدات وزيادة".**

لا يمثل الدكتور ذاكر نفسه فقط، لكنه يمثل حركة تضم عدداً من المؤسسات والتلاميذ، رجالاً ونساءً وأطفالاً، تشمل أنشطة تلك المؤسسات -بالإضافة إلى الإعلام- التدريب والتعليم وتنظيم الدروس والمحاضرات والمناظرات في العديد من بلدان العالم، وتضم منظومته:

ـ مؤسسة الأبحاث الإسلامية (**Islamic Research Foundation: أوIRF) في الهند:**

التي أسست عام ١٩٩١م مستخدمة التكنولوجيا الحديثة لتقديم الإسلام وفهمه بشكل أفضل انطلاقاً من القرآن والحديث واستناداً إلى المنطق وحقائق العلم الحديث.

ـ تلفزيون إسلامي وموقعاً للإنترنت متعدد اللغات، ووسائل إعلام مطبوعة، وتضم المؤسسة جناحاً نسائياً لنشر الدعوة وفهم الإسلام في الأوساط النسائية من خلال عدد من الأنشطة والبرامج، تشمل الندوات ومجموعات النقاش وورش العمل التدريبية وغيرها، ويرعى الجناح النسائي قسماً للأطفال يقدم برامج تعليمية وألعاباً وإصدار "سي دي" وشرائط فيديو، وكتباً مخصصة للأطفال، وتضم منظومة المؤسسة أيضاً:

• **قناة بيس الفضائية (قناة السلام الفضائية):**

والتي تستخدم أحدث التقنيات لتقديم البرامج الدعوية وكانت تغطي ١٠٠ دولة حول العالم في كل من أوروبا وآسيا وأفريقيا والشرق الأوسط. وقد عمل على توسيعها لتغطي كل أنحاء العالم، ويتابعها أكثر من سبعين مليون مشاهد.

• **أستوديو إنتاج:**

يقوم بالإعداد الفني للمنتجات الإعلامية المتنوعة للفضائية وشرائط الفيديو وشبكات البث المترلي وفق أعلى معايير الجودة الفنية في تلك المجالات.

• **وحدة نشر:**

تقوم بإصدار ما يوازي ٥٠ مطبوعة كما تشرف على توزيع تلك المنتجات مجاناً في جميع أنحاء الهند، وتنتج مطبوعات للاستخدام في المؤسسات التعليمية بمراحلها المختلفة.

• **قاعة مجهزة:**

بأحدث التقنيات لتنظيم المحاضرات والمؤتمرات والدورات التدريبية والمعارض.

• **المدرسة الإسلامية الدولية في مومباي.**

• **منظومة جماعية:**

مؤسسة الأبحاث الإسلامية لا تقتصر على الدكتور ذاكر نايك كالداعي الأوحد على ساحة الدعوة، ولكنها تضم إضافة له أكثر من عشرة دعاة مؤهلين مثل: فيض الرحمن ندوي، وآثر خان، ومنظور شيخ وغيرهم، كما يضم الفريق داعيات من النساء منهن: نائلة نوراني وقدسية رضواني وغيرهن، وهكذا فإن هذه المدرسة "الديداتية" العصرية باقية بعملها المؤسسي وتتوارثها الأجيال المؤهلة لحمل رسالتها الدعوية بفضل جهود "ديدات وزيادة"(ديدات الأكبر)..

الهدف: بناءً على أقوال الدكتور ذاكر نايك، فإن هدفه هو:

التركيز على الشباب المسلم المتعلم الذي يشعر أن دينه قد عفا عليه الزمن، أو أنهم يشعرون بالحرج من الانتساب لهذا الدين.

يقول الدكتور ذاكر: إنه يسعى لإحياء الأسس الكبرى للإسلام في ثوب عصري.

كما يرى أن من واجب كل مسلم أن يزيل المفاهيم الخاطئة حول الإسلام ليواجه ما يعتبره تحيزاً للإعلام الغربي ضد الإسلام خاصة بعد هجمات الحادي عشر من أيلول، من أجل ذلك فقد كرس حياته مؤخراً ليحاضر ويؤلف حول الإسلام ومقارنة الأديان وإزالة الشبهات التي تُلصق بالإسلام، كما أن بعض مقالات له تطبع وتنشر في المجلات الهندية كمجلة "**الصوت الإسلامي**" Islamic Voice".

يتحدث عادةً عن مواضيع مثل: "الإسلام والعلم الحديث"، "الإسلام والمسيحية"، "الإسلام والعلمانية"، "الإسلام والهندوسية"، "الدعوة الإسلامية" و"الشبهات حول الإسلام.

مناظراته:

له مئات المحاضرات والمناظرات، وقاربت من ١٣٠٠ محاضرة ومناظرة.

من أشهر مناظرته تلك التي عقدت في ١نيسان ٢٠٠٠م ضد الدكتور وليام كامبل في الولايات المتحدة الأمريكية تحت عنوان"القرآن والإنجيل في ضوء العلم" (The Qur'an and the Bible in the light of Science) .والتي لاقت نجاحاً كبيراً.

السبب في شهرته:

حاز الدكتور نايك على شهرة كبيرة لأسباب كان من أهمها:

١ــ قدرته التي تعتبر مذهلة على تذكر الشواهد من القرآن والحديث والكتب المقدسة الأخرى للنصارى واليهود و الهندوس والبوذيين و بعدة لغات.

فمن عادته أثناء خطبه أو مناظراته أن يستشهد بآيات قرآنية مع ذكر رقم السورة ورقم الآية التي يستشهد بها من ذاكرته، أو أن يستشهد بحديث شريف مع ذكر الكتاب الذي ورد فيه ورقم الحديث في ذلك الكتاب.

و الأمر نفسه يفعله عند الاستشهاد بالكتب المقدسة الأخرى.

يقول الباحث الاجتماعي الدنماركي المقيم في الهند توماس بلوم هانسن:

إن طريقة "ذاكر" في محاضراته متعددة اللغات والموجهة للمسلمين وغير المسلمين على السواء جعلت له شعبية كبيرة في الدوائر المسلمة وغير المسلمة.

٢ــ ولقد ساهم في شهرته أسفاره العديدة حول العالم ومناظراته حول الإسلام مع العلماء وعلماء اللاهوت وإتاحته الفرصة للأسئلة العامة.

حيث قام بإلقاء مئات المحاضرات في كثير من بلدان العالم، وقد كان يُظهر في تلك اللقاءات قدرة على الرد والإقناع بطريقة أذهلت الكثيرين.

لقد أصبحت للدكتور نايك شعبية منقطعة النظير في مومباي (بومبي سابقاً) في الهند .

ويحضر خطب الدكتور نايك عادة بضعة مئات أو آلاف، لكن معظم من عرفوه كانت معرفتهم عبر أشرطة الفيديو والكاسيت والأقراص المضغوطة CD التي تسجل خطبه والتي باتت شائعة جداً.

وعادةً ما تسجل خطبه باللغة الإنجليزية لتبث في عطل نهاية الأسبوع عبر العديد من شبكات التلفزيون في مناطق المسلمين من مومباي.

واليوم يظهر الدكتور نايك بشكل منتظم على شاشات العديد من القنوات والإذاعات على مستوى العالم والتي تتيح له فرصة الظهور في أكثر دول العالم. كما أن له كتباً في مواضيع الإسلام ومقارنة الأديان.

ويعتبر الدكتور ذاكر نايك أبرز شخصيات مؤسسة البحث الإسلامية في الهند المعروفة اختصاراً بـــ(IRF) والتي يديرها ويترأسها.

وقد انتفع به كثير من الكفار فكان سبب إسلامهم في الهند وغيرها.

من أشهر مؤلفاته:

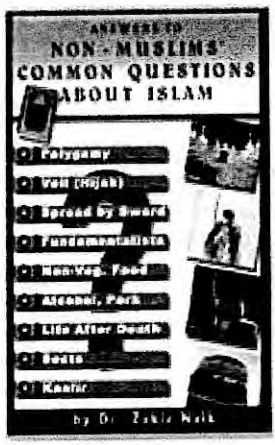

أشهر أسئلة غير المسلمين
عن الإسلام

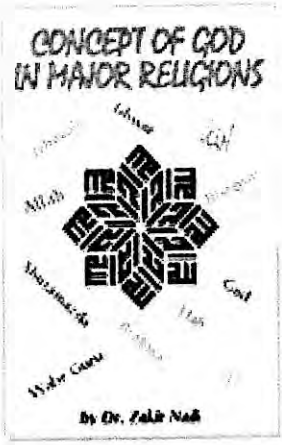

مفهوم (الإله)
في الأديان الكبرى

القرآن والعلم الحديث
متوافق أم غير متوافق

مواقف في محاضراته

ـ في إحدى محاضراته، قامت فتاة اسمها **لاميتا** سألت الدكتور ذاكر:

إذا كان القرآن كتاب الله لماذا الناس تحتاج إلى وقت طويل لإتباعه؟

الدكتور ذاكر شرح لها صعوبة الإتباع لأنه يتطلب ترك شهوات مثل الكحل و النساء أو الصعوبات العائلية و الأصدقاء ... الخ

وفي نهاية كلامه وبمهارة ممتازة حول دفة الحوار وقال لها:

وأنا أسألك سؤال كما سألتني:

لماذا أنت تأخذين وقتاً طويلاً لاتباع الحق؟

فما كان منها إلا أن قالت له:

دكتور ذاكر أنت رجل مبارك وأنا أقبل الإسلام ثم نطقت بشهادة الحق وكلمة التوحيد.

ـ وفي اللقاء السنوي وفي كل عام من شهر رمضان المبارك للدكتور "ذاكر عبد الكريم نايك" في إمارة دبي:

تم إسلام سبعة نساء جدد في لقاء ١١رمضان ١٤٣١هـ.

- تشهد له القاعات بإسلام الآلاف في نهاية المناظرة، وإسلام الآلاف من خلال سماع محاضراته ومناظراته، ومنهم القسيس الذي كان له موعد لقاء ومناظرة مع الدكتور ذاكر، فاتصل بالدكتور واعتذر عن اللقاء والمناظرة، لأن الرجل أسلم بعد دراسة فكر ومحاضرات ومناظرات الدكتور ذاكر.

فارق ذاكر نايك

عمره ١٩ عاماً في عام ٢٠١١م.

يدرس في المدرسة الإسلامية العالمية - مومباي (الهند).

ذاكرته قوية جداً و يحفظ بشكل دقيق.

أنهى حفظ القرآن و عمره (١٣) سنة إلى جانب دراسته النظامية و نشاطاته الأخرى و المشاركة في الحركة الدعوية.

يفهم معظم القرآن باللغة العربية و بارع في ترجمة معانيه إلى اللغات التي يستطيع أن يتواصل بها: الهندية، الإنجليزية و الأوردية.

منذ أن بلغ عمره الثامنة و هو يرافق والده (ذاكر نايك) في المحاضرات و المواعظ ليكون المذيع المقدم للمحاضرات بالإنجليزية و يرتل ما تيسر من القرآن أمام جمهور غفير -كما العادة- في الهند و أماكن أخرى في العالم.

يسير على خطى والده، وربما بعد عدة سنوات سنسمع بـ (ذاكر١) و(ذاكر٢) و...، إذ أن الابن فارق نايك يعتبر نسخة من أبيه.

قائمة Express الهندية في ٢٢ شباط ٢٠٠٩م:

الأكثر قوة في عام ٢٠٠٩ بين البليون هندي:

الدكتور ذاكر نايك في المرتبة رقم ٨٢ من ١٠٠ هندي

وفي قائمة خاصة بتاريخ ٣١ كانون الثاني ٢٠١٠:

العشرة المعلمون الأعلى روحية في الهند:

الدكتور ذاكر نايك في المرتبة رقم ٣ من العشرة، بعد رامديف بابا

وسري سري رافي، وهو المسلم الوحيد في هذه القائمة.

د. ذاكر أمةٌ في رجل!

بقلم: عبدالله محمد الصالح
مجلة الفرقان

لازمت الداعية الإسلامي د. ذاكر نايك في زيارته الأخيرة إلى الكويت ملازمة الطفل لأمه، بمزيد من حب وحنان! سمعت الكثير قبل رؤيته ولكن بعد معاشرته عرفت أن ما قيل عنه شيء يسير عن صورته الحقيقية.

كان الداعية الهندي الأكثر تأثيراً في نفسي، والأوقع في قلبي!

فكان يحفظ عن ظهر قلب كل آية وحديث - بأسماء السور وأرقام الأجزاء والآيات- في الرد على الشبهات التي تقذف على الإسلام، بل ويزيد على هذا حفظه للكتب المقدسة عند النصارى والهندوس والسيخ وأسلوب الرد عليهم من كتبهم بطريقة الاستنباط، حتى أنه أدهش الحضور في استدلالاته التي حيرت القس المتخفي بثياب المسلمين! في ذهابي وإيابي معه سألته عن حاله ويومه وكيف بدأ ولماذا وكل الأسئلة التي كانت تطل على أحلامي؟!

فكان يجيب قائلاً:

أعمل في اليوم قرابة سبع عشرة ساعة متصلة، بالإضافة إلى ساعتين للأهل وثلاث إلى أربع ساعات للنوم! أسست منظمة البحوث الإسلامية لوحدي بما يقارب مئة ألف دولار من حسابي الخاص.

وقال مستطرداً: على فكرة لا أقبض راتباً عن أعمالي رغم أنني متفرغ تماماً للدعوة!

ثم يعود مرة أخرى قائلاً:

وبعد مرور سنوات من الجهد والعمل المتواصل لدي اليوم: ثلاثمائة وخمسون موظفاً يعملون على مدار الأسبوع، الإجازة فقط في عيدي الفطر والأضحى لمدة يومين لكل عيد!! وبفضل الله وحده قبل سنتين وأشهر أطلقت قناة Peace TV المتخصصة في مقارنة الأديان.

وأردف قائلاً: مما ستتعجب منه أننا بدأنا بمائة وعشرين ألف دولار واليوم ميزانيتنا الشهرية مليون دولار كلها تبرعات!!

هنا قلت له: كيف ستستمر بهذا الفكر القائم على مساعدة الآخرين فقط؟

فأجاب: ربي سيساعدني! بل وسأفتتح مجموعة قنوات أخرى: واحدة بلغة الأوردو وثانية للأطفال وثالثة باللغة الصينية، أنا لن أتوقف سأعمل فيما أقدر عليه لخدمة الدين.

فعرجت بالحديث إلى شخصه متسائلاً: هل حصلت على الدكتوراه في علم مقارنة الأديان؟

فأجاب فاغراً فاه: بل دكتوراه في طب الجراحة، أما العلوم الشرعية فهي حصيلة قراءات.

فقلت: وكيف ذلك من جراح إلى داعية متفرغ؟

فقال :يقول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[1]. تأثرت كثيراً بهذه الآية وقد حثني الداعية الراحل **أحمد ديدات** على التخصص في هذا المجال وقد أسماني «**ديدات بلس**».

وأكمل: ثم انتقلت من طبيب أبدان إلى طبيب قلوب! وها أنا ذا في نعمة من ربي ومنّة، أعمل ليل نهار في الدعوة، وأطلقت قناتي الفضائية من التبرعات وهي الوحيدة في تخصصها، والوحيدة في بثها لبلدان لم تصلها الفضائيات العربية، فالقناة تبث في أمريكا وكندا وأروبا وآسيا والعالم العربي وأفريقيا وأستراليا، وبقي لنا جنوب أمريكا ونكون بذلك قد أتممنا العالم بأسره.

ونحن اليوم ننعم بخمسة وسبعين مليون مشاهد يومياً.

وقد لاحظته عن قرب كيف كان يحاضر في ندوته الجماهرية - التي نظمتها لجنة التعريف بالإسلام المباركة - ذات الحضور المهيب المناهز لعدد ثمانية عشر ألف شخص، ويمتد

---

(1) فصلت: ٣٣.

خطابه المرتجل لمدة لا تقل عن **ثلاثة ساعات** واقفاً مستقبلاً في آخر ساعة الشبهات من غير المسلمين وهو يجيب مستدلاً بكتبهم المحرفة قبل كتابنا العزيز.

وبعد أن أنهى خطابه ركب معي في السيارة لأوصله إلى الفندق ولا أخفيكم سراً بأني استحييت من سؤاله خشية أن أشق عليه فاكتفيت بالثناء على الندوة، ثم قام هو بالحديث وكأنه لم يكن ذاك الذي ألقى الخطبة بكل قوة وحماس.

وعند وصولنا إلى مكان إقامته إذ به يجتمع مرة أخرى بمجموعة من رجاله ومناصريه يخططون فيها لأعماله القادمة وتوسعاته، ونحن بالمقابل - أهل الترف - سقطنا منهكين، متصدعة رؤوسنا من طول هذا اليوم الشاق مع إنسان ليس للراحة مكان في حياته أو في قاموسه.

إنه ذاكر أمة في رجل.

أجمل ثناء

تلقاه الدكتور نايك كان من معلمه أحمد ديدات

الذي قال له:

«ما فعلته يا بني في أربع سنين استغرق مني

أربعين سنةً لتحقيقه»

من أقوال الدكتور ذاكر نايك

- قوة الإسلام الأصيلة: هي العقل والحقيقة والمنطق، وهو الذي كان مسؤولاً عن انتشاره السريع.
- الإسلام يأتي من 'السلام' وهكذا الإسلام هو دين السلام. وفي بعض الأحيان يجب أن تستخدم القوة للحفاظ على السلام.
- الإسلام يحض على السلام. وفي الوقت نفسه فإن الإسلام يحض أتباعه على النضال والكفاح ضد الظلم.
- حكم المسلمون إسبانيا حوالي ٨٠٠ عاماً. ولم يستخدموا السيف لإجبار الناس على اعتناق الإسلام. وجاء في وقت لاحق الصليبيون إلى إسبانيا ومحو المسلمين. لم يكن هناك مسلم واحد في إسبانيا.
- أكثر من ٨٠ ٪ في الهند غير مسلمين: دام حكم المسلمين في الهند لنحو ألف سنة. إلا أن الحكام المسلمون لم يستخدموا أي قوة من أجل تحويل الناس إلى الإسلام. واليوم أكثر من ٨٠ ٪ من سكان الهند يتكّون من غير المسلمين، كل هذه الأعداد من الهنود غير المسلمين هي شهادة: أن الإسلام لم ينتشر بحد السيف.
- **أندونيسيا:** هي البلد الذي أغلب سكانه من المسلمين، ويتساءل المرء: هل ذهب أي جيش إسلامي إلى أندونيسيا وماليزيا؟.
- **سيف الفكر:** هو السيف الذي يستولي على قلوب وعقول الناس.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾[1].

---

(١) النحل: ١٢٥

- **زيادة في ديانات العالم ١٩٣٤م حتى ١٩٨٤م:**

جاء في 'التقويم' ريدرز دايجست ، كتاب عام ١٩٨٦م ، الإحصاءات لزيادة النسبة المئوية للأديان الرئيسية في العالم في نصف قرن ١٩٣٤م حتى ١٩٨٤م. فأظهر هذا المقال أن الإسلام على رأس قائمة الأديان، إذ ازداد بنسبة ٢٣٥ في المئة، بينما زادت المسيحية فقط ٤٧ في المئة فقط. وقد يتساءل المرء: هل وقعت حرب في هذا القرن حولت الملايين من الناس إلى الإسلام؟

- **الإسلام هو الدين الأسرع انتشاراً:**

اليوم أسرع الأديان نمواً في أمريكا هو الإسلام. والدين الأسرع انتشاراً في أوروبا هو الإسلام.

أين السيف الذي يجبر الناس في الغرب لقبول الإسلام بأعداد كبيرة من هذا القبيل؟

- **مقتطفات من أهم و أشهر مناظرة أجراها الدكتور ذاكر نايك مع الدكتور وليام كامبل في مدينة شيكاغو في الولايات المتحدة الأمريكية ١نيسان ٢٠٠٠م تحت عنوان:**

"القرآن والإنجيل في ضوء العلم"

(The Qur'an and the Bible in the light of Science)

الدكتور ذاكر:

في القديم عرف زمن العجائب، الحمد لله القرآن هو معجزة المعجزات، نزل في عصر الأدب والشعر، ويعترف المسلمون وغير المسلمين أن القرآن هو أفضل أدب عربي على وجه الأرض.

أما اليوم فيسود عصر العلم والتكنولوجيا، ولنحلل ما إذا القرآن ينسجم مع العلم الحديث أم لا ؟.

دعوني أذكركم: أن القرآن ليس كتاب علم، بل إنه كتاب إشارات فيه أكثر من عشرة آلاف إشارة في القرآن الكريم تتحدث عن أكثر من ألف موضوع علمي.

فيما يخص كلامي حول القرآن والعلوم سأتحدث فقط عن الحقائق العلمية التي كشفت، ولن أتحدث عن النظريات المبنية على توقعات من دون دليل، لأننا نعلم جميعاً أن العلم يغير مساره تكراراً.

يعرض الدكتور كامبل في كتابه (**القرآن والإنجيل تحت مجهر التاريخ والعلم**) الذي كتبه ليرد على كتاب الدكتور مارك فوغيل إلى وجهتي نظر:

الأولى: وجهة نظر توافقية بحيث يسعى الإنسان إلى إيجاد نقاطاً للالتقاء بين العلم والمخطوطات الدينية.

أما وجهة النظر الثانية: فهي وجهة نظر التعارض بحيث يسعى الإنسان إلى إيجاد نقاط الاختلاف بين العلم والمخطوطات الدينية.

لا يمكن لأي إنسان أن يثبت أن هناك آية من القرآن تتعارض مع العلم الحديث مهما كان نوع وجهة النظر، وذلك بشرط أن يخضع للمنطق وبعد سماع تفسيراً منطقياً لهذه الآيات.

لقد أشار الدكتور كامبل إلى مجموعة كبيرة من الأخطاء العلمية الواردة في القرآن الكريم، يعرف أني سأرد عليه لاحقاً.

علي أن أناقش الاثنين معاً ـ القرآن والإنجيل ـ لا يمكن أن أتكلم عن القرآن وحده، فموضوعنا هو القرآن والإنجيل تحت مجهر العلم.

سأتحدث عن الإثنين أما الدكتور كامبل فبالكاد ذكر نقطتين عن الإنجيل، سأتحدث عن الاثنين إن شاء الله أحب أن أكون عادلاً.

بالنسبة إلى القرآن والعلم سأبدأ بعلم الفلك:

وصف علماء الفلك في العقود الأخيرة كيف وجد كوكب الأرض وسموا هذه الظاهرة بـ: **الإنفجار الكبير**، فقالو: أنه في الأساس كان ثمة سديم انفصل بعد وقت بانفجار كبير أوجد المجرات والشمس والأرض حيث نعيش، وهذا وارد بوضوح في القرآن الكريم في سورة الأنبياء الواحدة والعشرين الآية الثلاثين:

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾[1].

تخيلوا هذه المعلومة التي اكتشفت مؤخراً وردت في القرآن الكريم قبل ١٤٠٠ عام.

حين كنت في المدرسة تعلمت أن الشمس ثابتة بالنسبة إلى الأرض، وأن الأرض والقمر يدوران حول محورهما، لكن الشمس ثابتة. ولكن حين قرأت الآية الثالثة والثلاثين في القرآن في سورة الأنبياء الواحدة والعشرين التي تقول:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[1].

---

(١) الأنبياء: ٣٠.

الآن والحمد لله أثبت العلم الحديث هذه المقولة، فالكلمة العربية المستعملة في القرآن أي: **يسبحون**، تصف حركة جسم متحرك بالتناغم مع جسم سماوي آخر أي إنه يدورحول محوره وحول جسم سماوي آخر، وهكذا يقول القرآن أن الشمس والقمر يدوران حول محورهما وحول جسم آخر، واليوم توصل العلم إلى معرفة أن الشمس تتطلب حوالي ٢٥ يوماً لتكمل دورتها حول نفسها.

كان **إدمن هابل** من اكتشف أن الكون يتمدد ولكن القرآن ذكر في سورة الذاريات الواحدة والخمسين الآية السابعة والأربعين:

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾[٢] .

إن الكلمة العربية موسعون تشير إلى توسيع العالم الجديد.

أما في موضوع الدورة المائية:

ـ فقد أشار الدكتور كامبل إلى أن القرآن قد وصف الدورة المائية بالتفصيل الدقيق، وذكر الدكتور كامبل أربع مراحل مفصلة في كتابه، وقال أنه ما من آية في القرآن الكريم تتحدث عن التبخر!

لكن القرآن يقول في سورة الطارق السادسة والثمانين الآية الحادية عشر:

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴾[٣].

يقول معظم العلماء أن هذه الآية الواردة في سورة الطارق تشير إلى قدرة السماء على إعادة المطر أي التبخر، كان الدكتور كامبل مخطئاً، أنا أقول له: لماذا لم يذكر الله تعالى تنزل المطر مباشرة أي أنها تعيد الماء إلى الأرض لما لم يحدد الله ذلك؟ الآن صرنا نعرف لماذا فعل الله ذلك، لأن طبقة الأوزون فوق سطح الأرض لا تعيد المطر فقط بل تعيد مواد مفيدة وطاقة إلى الأرض ليستفيد منها البشر، فنحن نعرف اليوم أنها تعيد موجات الاتصال

---

(١) الأنبياء: ٣٣.

(٢) الذاريات: ٤٧

(٣) الطارق: ١١.

للتلفاز والراديو التي تسمح لنا بمشاهدة التلفاز والاتصال ببعضنا البعض، وسماع الراديو بالإضافة إلى ذلك أنها تردّ الإشعاعات المضرة من الفضاء الخارجي من الجهة الأخرى، وتمتص نور الشمس فطبقة الأينوا سفير تمتص الإشعاعات ما فوق البنفسجية التي ترسلها الشمس ولو أن هذا لا يحصل لما وجدت الحياة على الأرض، لذلك لم يذكر الله قدرة السماء على إعادة المطر بشكل محدد.

أما بالنسبة إلى **الإنجيل** فقد تحدث في الصفحة الأولى عن المرحلة الأولى والثالثة وفي الصفحة الثانية عرض المرحلة الأولى ثم الثالثة ثم الثانية.

إن المياه لتصعد إلى السماء ثم تعود إلى الأرض هذه هي فلسفة ميليتس في القرن السابع قبل الميلاد كان يعتبر أن رذاذ مياه المحيط كان يلتقط ثم يصعد إلى السماء لم تُذكر الغيوم، وفي المثل الثاني الذي أعطاه الدكتور كامبل ذكر التبخر نحن نوافق على ذلك، أولاً يتساقط المطر ثم تتكون الغيوم وهذا لا يتطابق مع الدورة المائية، لقد وصف القرآن الدورة المائية بالتفصيل في أماكن متعددة فيقول أن الماء يتبخر فتتكون الغيوم ثم تتصادم الغيوم ببعضها وترتفع فيحصل البرق والرعد ويتساقط المطر.

الحمد لله يتحدث القرآن عن الدورة المائية بالتفصيل في أكثر من مكان، مثلاً في سورة النور الآية الثالثة والأربعين وسورة الروم الآية الثامنة والأربعين وسورة الزمر الآية الواحدة والعشرين وسورة المؤمنون الآية الثامنة عشر .....كل هذا يثبت أن القرآن تحدث بالتفصيل عن الدورة المائية.

فيما يتعلق بعلم الجيولوجيا:

يقول لنا علماء الجيولوجيا أن شعاع الأرض يبلغ حوالي ثلاثة آلاف وسبع مائة وخمسين ميلاً وأن طبقات الأرض السفلى سائلة وحامية ولا تسمح بالحياة وأن سطح الأرض أي القشرة الأرضية حيث نعيش رقيقة جداً بحيث لا تتعدى سماكتها من ميل إلى ثلاثين ميلاً وقد تكون أكثر سماكة في بعض المواقع، ولكن بشكل عام تتراوح سماكتها بين واحد،

وثلاثين ميل، ثمة احتمال كبير بأن تهتز هذه القشرة وتمنح ظاهرة التراكم التي تكّون الجبال المثبة للأرض، ويقول القرآن الكريم في سورة النبأ الثامنة والسبعين الآية السادسة والسابعة:

﴿ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾[1].

القرآن لا يقول أن الجبال تلقى كالأوتاد، بل يقول أنها أوتاد، كلمة وتد تعني وتد الخيمة وقد توصلنا اليوم في الجيولوجيا الحديثة إلى معرفة أن للجبال جذوراً عميقة وقد عرف ذلك في النصف الثاني من هذا القرن، الذي يظهر لنا من الجبل ليس سوى قسم صغير منه فالقسم الأكبر منه يكون تحت الأرض تماماً كوتد الخيمة نرى منه جزءاً صغيراً في حين أن القسم الأكبر منه يكون تحت الأرض، أو كرأس الجبل الثلجي نرى الرأس فوق الماء لكن القسم الأكبر منه يكون تحت الماء.

يقول القرآن الكريم في سورة الغاشية الثانية والثمانين الآية التاسعة عشر:

﴿ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴾[2].

وفي سورة النازعات التاسعة والسبعين الآية الثانية والثلاثين:

﴿ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴾[3].

اليوم وبعد تقدم علم الجيولوجيا الحديث وقد أشار الدكتور كامبل إلى ذلك وفق نظرية تحرك الصفائح والتي تعود إلى عام ستين يقول بعض العلماء:

إن الجبال تساهم في ثبات الأرض، لم أشاهد في حياتي ولا في أي كتاب جيولوجيا وأتحدى الدكتور كامبل أن يجد كتاب جيولوجياً واحداً يدل على عكس ذلك، أتحدث عن كتاب وليس عن نسب الحقائق لأقوال علماء الجيولوجيا كالدكتور كيث مور، المطلوب وثائق تعد كإثبات.

---

(١) النبأ: ٧.

(٢) الغاشية: ١٩ .

(٣) النازعات: ٣٢.

إذا قرأت **كتاب الأرض** الذي تعتمد عليه معظم جامعات علم الجيولوجيا اسم أحد كتّابه **فرانك برس** الذي هو أحد مستشاري الرئيس الأمريكي السابق جيمي كارتر، يقول في كتابه:

إن للجبال جذور عميقة، ويقول عن وظيفة الجبال تثبيت الأرض، ويقول القرآن الكريم في سورة الأنبياء الواحدة والعشرين الآية الواحدة والثلاثين وفي سورة لقمان الواحدة الثلاثين الآية العاشرة وفي سورة النحل السادسة عشر الآية الخامسة عشر أن الله خلق الجبال ثابتة على الأرض كي لا تتهتز بها وبكم.

إذاً فوظيفة الجبال في القرآن هي منع الأرض من الاهتزاز، لا يقول القرآن في أي مكان أن الجبال تمنع الهزات الأرضية.

وقد قال الدكتور كامبل في كتابه ومحاضرته:

إن الجبال مكونة من مواد ناتجة عن الهزات الأرضية وإنها تسبب الهزات الأرضية، لا يقول القرآن إن الجبال تمنع الهزات الأرضية فكلمة **إرث كويك** الإنكليزية تعني باللغة العربية زلزال، لربما يجهل الدكتور كامبل اللغة العربية والكلمة المستخدمة في القرآن هي كلمة تميد وكلمة تميد لا تعني الإهتزاز بل تعني التمايل ويقول القرآن في سورة لقمان الواحدة والثلاثين الآية العاشرة وفي سورة النحل السادسة عشر الآية الخامسة عشر:

﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾[1]، أي تتمايل بكم، إذاً فإنكم إذا تحركتم فالأرض تتحرك معكم وإذا تمايلتم فالأرض تتمايل معكم، وأننا نعرف أن الأرض لا تهتز.

يقول الدكتور كامبل في كتابه: أنه إذا كانت الجبال تمنع اهتزاز الأرض إذاً فكيف تحدث الهزات الأرضية في المناطق الجبلية، قلت: إن القرآن لم يذكر في أي مكان أن الجبال تمنع حصول الهزات، وإذا قرأتم تعريف الهزات في كتاب الدكتور فرانك برس تعلمون أن

---

(١) النحل: ١٥.

الهزات تنتج عن اصطدام القشرة الأرضية الناتج عن تحرر الداخل الجوفي وعن انشقاق القشرة الأرضية أو عن تفاعلات عضوية، إن القرآن يتحدث عن الزلزال في سورة الزلزلة، ولكنه يتحدث هنا عن تميد لمنع الأرض أن تهتز بكم، وفي رد على المقولة: أنه لو كانت الجبال تمنع الهزات فلماذا تحصل الهزات في المناطق الجبلية؟؟؟

الجواب هو أنني إذا قلت أن الأطباء يمنعون انتشار الأمراض بين البشر فكيف يعقل أن تجد عدداً أكبر من المرضى في المستشفيات حيث الأطباء موجودون هناك أكثرمن وجودهم في البيت حيث لا يوجد أطباء؟؟.

في موضوع علم المحيطات :

يقول القرآن في سورة الفرقان الخامسة والعشرين الآية الثالثة والخمسين:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾[1].

وفي سورة الرحمن الخامسة والخمسين الآية التاسعة عشر وعشرين:

﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾[2].

تساءل المعلقون على القرآن قديماً، نحن نعلم أن المياه مالحة، ولكن ما هو الفاصل بين المياه الحلوة والمالحة ؟؟ وبعد تقدم العلوم علمنا أنه إذا اجتمع محلولان يخسر كل منهما مكوناته فيكونان محلولاً واحداً وتكون منطقة التجانس هي الفاصل غير المرئي بين المحلولين والذي يسميه القرآن البرزخ، يوافق الكثير من العلماء على هذه الحقيقة حتى هنا في الولايات المتحدة باسم **الدكتور هاي** وهو عالم محيطات.

يقول الدكتور كامبل في كتابه: إن الصيادين أيام النبي محمد كانوا يعلمون أنه ثمة مياه حلوة ومالحة وأن النبي محمد كان يذهب في رحلته إلى سوريا عبر البحر أي أنه رافق

---

(١) الفرقان: ٥٣.

(٢) الرحمن: ١٩ – ٢٠.

الصيادين، أنا أوافق على أن معرفة أن المياه مالحة ملاحظة جيدة ولكن الصيادون لم يعلموا بوجود الفاصل بين المياه الحلوة والمالحة، إنه اكتشاف سجل مؤخراً وهو اكتشاف وجود البرزخ وليس اكتشاف ملوحة المياه.

وفيما يتعلق بموضوع علم الأجنة:

مجموعة من العرب الذين جمعوا المعومات الواردة في القرآن والحديث النبوي حول علم الأجنة وقدموها إلى **البروفيسور تيكيت مو** الذي كان رئيس قسم علم الأجنة في جامعة تورينتو في كندا، وهو يمثل أبرز العلماء في مجال علم الأجنة، بعد قراءة ما ورد في القرآن طلبوا منه أن يعلق فقال:

إن معظم ما ورد في القرآن والحديث النبوي يتفق تماماً مع علم الأجنة الحديث، إلا أنه ثمة معلومات لست متأكداً من صحتها ولكن في الوقت عينه لا أستطيع إثبات خطأها لأنني لست متأكداً منها وهما الآية الأولى والثانية من سورة اقرأ أي العلق السادسة والتسعين:

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴾[1].

بالنظر إلى قول الدكتور كامبل أننا نعرف معنى كلمة ما، من خلال معرفة ماكانت تعنيه وقت ما قيلت في الوقت الذي كتبت فيه، وما كان الناس يفهمون بها، بالنسبة للإنجيل أنا أوافق تماماً فالإنجيل كان موجهاً لأبناء إسرائيل في ذلك الوقت وهذا ما ورد في **إنجيل متى** الفصل الخامس عشر الآية الخامسة والسادسة:

(يقول المسيح عليه السلام لأهله من اليهود).

إذاً: فالإنجيل لم يكن موجهاً للهندوس وغير اليهود بل لأبناء إسرائيل وحدهم وهذا مذكور في إنجيل متى الفصل الخامس عشر الآية الرابعة والعشرين:

(لم أرسل إلا للخراف الضائعة من القطيع من بني إسرائيل) .

---

(١) العلق: ١ - ٢.

إذاً فيسوع المسيح والإنجيل لم يوجها إلا لبني إسرائيل، لذا يتطلب معرفة معنى كلام الإنجيل العودة لمعرفة ما كان يعني لأبناء إسرائيل في ذلك الوقت.

أما القرآن في ذلك الوقت لم يكن موجهاً للعرب بل للإنسانية جمعاء وهو خالد. فالقرآن يقول في سورة إبراهيم الرابعة عشر الآية الثانية والخمسين وسورة البقرة الثانية الآية المائة والخامسة والثمانين وفي سورة الزمر الآية التاسعة والثلاثين الآية الواحدة والأربعين أن القرآن أرسل للبشرية جمعاء وأن النبي محمداً لم يرسل للمسلمين العرب وحدهم فالله يقول في سورة الأنبياء الواحدة والعشرين الآية المائة وسبعة: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1].

إذاً فالقرآن لا يمكن أن يفسر بحسب ما فهمه أبناء زمانه لأنه أرسل للناس جميعاً وليبقى خالداً .

إن أحد معاني العلقة هو ما يشبه العلقة أو شيئاً ملتصقاً.

قال **الدكتور كيث مور**: لا أدري ما إذا كان الجنين في مراحل نموه الأولى يشبه العلقة، لكنه هرع إلى مختبره فحلل جنيناً في أول مراحل نموه تحت المايكرو سكوب وقارنه بالعلقة فتفاجئ بالتشابه القوي بين الاثنين.

قال الدكتور كيث مور رداً على سؤال وجّه له:

لو طرحتم علي الأسئلة نفسها قبل ثلاثين عاماً ما كنت لأتمكن من الإجابة على أكثر من خمسين بالمائة نحن نعلم أن علم الأجنة تطور خلال السنوات الثلاثين الماضية. قال هذا في الثمانينيات.

المعلومات الإضافية التي تحصلون عليها من القرآن والحديث النبوي جمعت لاحقاً في كتاب: **تطور البشرية**، الذي نال جائزة أفضل كتاب طبي كتبه مؤلفه منفرداً.

---

(١) الأنبياء: ١٠٧.

وهناك الطبعة الإسلامية التي وضعها الشيخ عبد المجيد زنداني ووثقها الدكتور كيث مور شخصياً.

ورد في سورة المؤمنون الثالثة والعشرين الآية الثانية عشر لغاية الرابعة عشر:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾[1]. أي أن الإنسان خلق على شكل سائل قليل الكمية ثم وضع في مكان آمن ثم يصير علقة أو شيئاً يلتصق ثم حول العلقة إلى مضغة أي إلى ما مضغ ثم حول المضغة إلى عظام ثم أحاط العظام باللحم فخلق مخلوقاً جديداً ليبارك الله أفضل الخالقين .

في هذه الآيات يصف القرآن تطور الجنين بالتفصيل: نطفة وضعت في مكان آمن ثم تصير علقة والعلقة لها ثلاث معانٍ:

أولاً: الشيء الذي يلتصق أو يعلق ونحن نعلم أنه في المراحل الأولى أن الجنين يلتصق بحائط الرحم ويظل ملتصقاً حتى النهاية .

ثانياً: علقة تعني ما يشبه العلقة الطفيلية وقد قلت سابقاً أن الجنين يشبه العلقة في مراحل نموه الأولى، بالإضافة إلى الشبه في الشكل يتحرك الجنين في هذه المرحلة تماماً كالعلقة فهو يتغذى من دم أمه أي يمتص الدماء .

المعنى الثالث: الذي عرضه الدكتور كامبل وهو المعنى الصحيح، ألا وهو نقطة دم متجمدة التي اعتبرها الدكتور خطئاً علمياً ففي القرآن مع احترامي الجزيل للدكتور وليام كامبل **ليس القرآن على خطأ إنما الدكتور كامبل هو المخطئ** لأن اليوم وبعد تطور علم الأجنة حتى الدكتور كيث مور يقول: إن الجنين في مراحل نموه الأولى يشبه بالإضافة إلى

---

(١) المؤمنون: ١٢ - ١٤ .

العلقة يشبه نقطة دم متخثرة، ففي مرحلة العلقة أي بعمر الثلاثة إلى أربعة أسابيع يتخثر الدم في الشرايين التي تطوق الجنين، فخلال الأسبوع الثالث من عمر الجنين لا يدور الدم في هذه الشرايين بل إن الدورة الدموية تبدأ في مرحلة لاحقة لذا يبدو الجنين كنقطة دم وحتى لو نظرتم إلى الجنين بعد الإجهاض يمكن أن تروا أنه يشبه نقطة دم متخثرة وثمة سطر واحد يجيب على تساؤلات الدكتور كامبل وهو: أن مراحل نمو الجنين الواردة في القرآن مبنية على مظهر الجنين ...فهو يبدو أولاً كعلقة العلقة طفيلية أوكنقطة دم متخثرة، وقال الدكتور كامبل بنفسه أن بعض النساء يزرنه ليطلبوا منه إنزال نقطة الدم، الجنين فعلاً يبدو كنقطة دم والمراحل ترتكز على المظهر، لقد خلق الإنسان من شيء يبدو كنقطة دم متخثرة أو علقة كما أنه شيء يلتصق أو يعلق، يقول القرآن: إن الله حول العلقة إلى مضغة، أي شيء يشبه ما مضغ، أخذ الدكتور كيث مور: حبة ومضغها بأسنانه فبدت كمضغة حيث تمثل علامات الأسنان نقاط الشبه، قال الدكتور كامبل حين تصبح العلقة مضغة يظل الجنين معلقاً لأشهر إذاً فالقرآن على خطأ ، قلت في بداية حديثي إن القرآن يصف المظهر فمظهر العلقة أو نقطة الدم المتخثرة تحول إلى مظهر مضغة، يمكن أن يظل الجنين معلقاً ما من مشكلة فالقرآن يصف المظهر ولا يصف الوظيفة، فيما بعد يقول القرآن إن الله يحول المضغة إلى عظام ثم يغلف العظام باللحم، قال الدكتور كامبل: وأنا لا أوافقه الرأي إن اللحم والعظام أي الغضاريف تتكون معاً، وأنا أوافق على هذا . يقول لنا علماء الأجنة اليوم: إن العظام واللحم يتكونان معاً بين اليوم الخامس والعشرين واليوم الأربعين من عمر الجنين وهي المرحلة التي يسميها القرآن المضغة، لكنها لا تتطور إلا لاحقاً عند انتهاء الأسبوع السابع يأخذ الجنين شكل الإنسان ثم تتكون العظام.

يقول علم الأجنة الحديث: إن العظام تتكون بعد اليوم الثاني والأربعين فيتشكل ما يشبه الهيكل العظمي .....في هذه المرحلة لا تكون العظام قد شكلت، لاحقاً بعد نهاية الأسبوع السابع وبداية الأسبوع الثامن تتكون العضلات.

إذاً القرآن يصف بدقة مراحل نمو الجنين، أولاً علقة ثم مضغة ثم عظام ثم تتغطى العظام باللحم فيتكون الجنين، إذاً فالوصف كامل.

وقد قال **الدكتور كيث** إن المراحل التي يصفها علم الأجنة الحديث المرحلة الأولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة مربكة جداً أما القرآن فيصفها بحسب المظهر والشكل فيضاهي وصف العلم لهذه المراحل، الحمد لله، لذا **قال الدكتور كيث:**

إنه لا يعارض علم النبي محمداً هو رسول الله وأنه لابد من أن القرآن الكريم كتاب منزل من عند الله .

المصادر والمراجع

- **الرئيس علي عزت بيجوفيتش:**

ـ **الإسلام بين الشرق والغرب:** علي عزت بيجوفيتش ـ ترجمة: محمد يوسف عدس- دار النشر للجامعات-مصر.

ـ **هروبي إلى الحرية:** علي عزت بيجوفيتش، ترجمة: إسماعيل أبو البندورة، دار الفكر، دمشق ـ سوريا.

ـ **مأساة البوسنة والهرسك:** أحمد، محمد عبد القادر.

ـ **أطلس التاريخ العربي والإسلامي**-د. شوقي أبو خليل-ط٥/٢٠٠٢م

ـ **أطلس دول العالم الإسلامي**-د. شوقي أبو خليل-ط٢/١٩٩٩م.

ـ **مجموعة الأستاذ بيجوفيتش على الفيس بوك:**

ts=ref&http://www.facebook.com/group.php?gid=7240534158

صفحته:

-http://www.facebook.com/pages/Iy-zt-byjwfytsh-Alija
ts=Izetbegovic/8864754946?ref

- **فيلم قصير يعرض حياته:**

http://www.youtube.com/watch?v=Ls-yXeW5jK0

- **الأعلام:** قناة المجد الفضائية.

- **الداعية: مالكوم إكس:**

- socialism and black nationalism ;Malcolm X

مالكوم إكس: الكاتب كيفن أوفيندن--دار نشر "Book marks".

- **مالكوم إكس سيرة ذاتية:** المؤلف : اليكس هالي ـــ المترجم: ليلى أبو زيد. عاريسان للنشر والتوزيع- لبنان الطبعة الأولى- ١٩٩٦م.
- **الله في الغرب ..**الحركات الإسلامية في أمريكا وأوروبا، حسن أبو طالب: - مجلة وجهات نظر- العدد ٣٥- ديسمبر ٢٠٠١.
- **موقع مالكوم إكس الالكتروني:** www.malcolm-x.org
- **موقع صيد الفوائد:** www. saaid.net.
- **برنامج مالكوم إكس عن قرب:** قناة الجزيرة الوثائقية.

- **الدكتور ذاكر نايك:**

www.irf.net -
_**قناة المجد الفضائية:** www.almajdtv.com
برنامج: أسرة واحدة د.ذاكر نايك ج١/٢/٣/٤.
- **موقع صيد الفوائد الالكتروني:** www.saaid.net

- **الدكتور مهاتير محمد:**

_ موسوعة مهاتير(محضير) محمد: دار الكتاب المصري، ط١/٢٠٠٤م.
_ مهاتير محمد.. عاقل في زمن الجنون، الدكتور عبد الرحيم عبد الواحد.
_ بي بي سي: www.bbc.com .
_ ومن عدة مواقع الكترونية أخرى.